أستريد ليندجرين



جنان في "بيت يا ليت"

جنه

أسترid ليندجرين

جنان
في "بيت يا ليـت"

النص العربي بقلم: د. وليد سيف

دار المنى

Second Arabic edition 1999

Originally published by R & Sjögren under the title: " Pippi Långstrump "

Printed in Sweden 1999
ISBN 91 88356 13 2

Dar Al-Muna
Box 127
182 05 Djursholm
Sweden

جنان تنتقل الى « بيت يا ليت »

في طرف بلدة صغيرة كان ثمة حديقة واسعة كبيرة الشجر، وفي وسط الحديقة كان ثمة بيت قديم، وفي البيت القديم كانت تعيش جنان ذات الجورب الطويل. كان عمرها تسع سنوات، وكانت تعيش وحدها هناك. لم يكن معها أب ولا أم. إلاّ أنها كانت تستمتع بحريتها. فليس هناك من يأمرها بالذهاب الى سريرها حين تكون في أوج لهوها ومتعتها، ولا من يفرض عليها أن تتناول حبوب زيت السمك بينما تفضل هي أن تأكل الحلوى.

لم تكن جنان دائماً بلا أب. بل كانت تعيش معه في وقت من الاوقات، وكانت تحبه حباً جماً . وبطبيعة الحال، كان لها أم ايضاً. ولكن كان هذا منذ زمن طويل حتى ان جنان لا تتذكر وجه امها. فقد ماتت حين كانت جنان طفلة صغيرة في مهدها، وكانت كثيرة الصراخ، حتى كان الناس يترددون في الاقتراب منها. وتعتقد جنان ان امها تعيش الآن في مكان ما من السماء وتراقب ابنتها من فتحة هناك. وكثيرا ما تلوح جنان لها نحو الأعلى وتقول: «لا تقلقي علي. استطيع العناية بنفسي، وسأكون دائماً في الطليعة».

لم تنسَ جنان والدها. كان قبطاناً يبحر في أعالي البحار والمحيطات. وكانت جنان تبحر معه حتى جاء يوم عاصف، فأطاحت به العاصفة عن ظهر السفينة وغاب في ظلمة البحار. ولكن جنان بقيت تعتقد اعتقاداً قاطعاً انه سيعود اليها في يوم ما. ولم تتقبل أبداً احتمال غرقه. كانت على يقين انه صار هناك ملكاً على آكلي لحوم

البشر، وأنه يقضي وقته متجوّلا وعلى رأسه تاجه الذهبيّ.

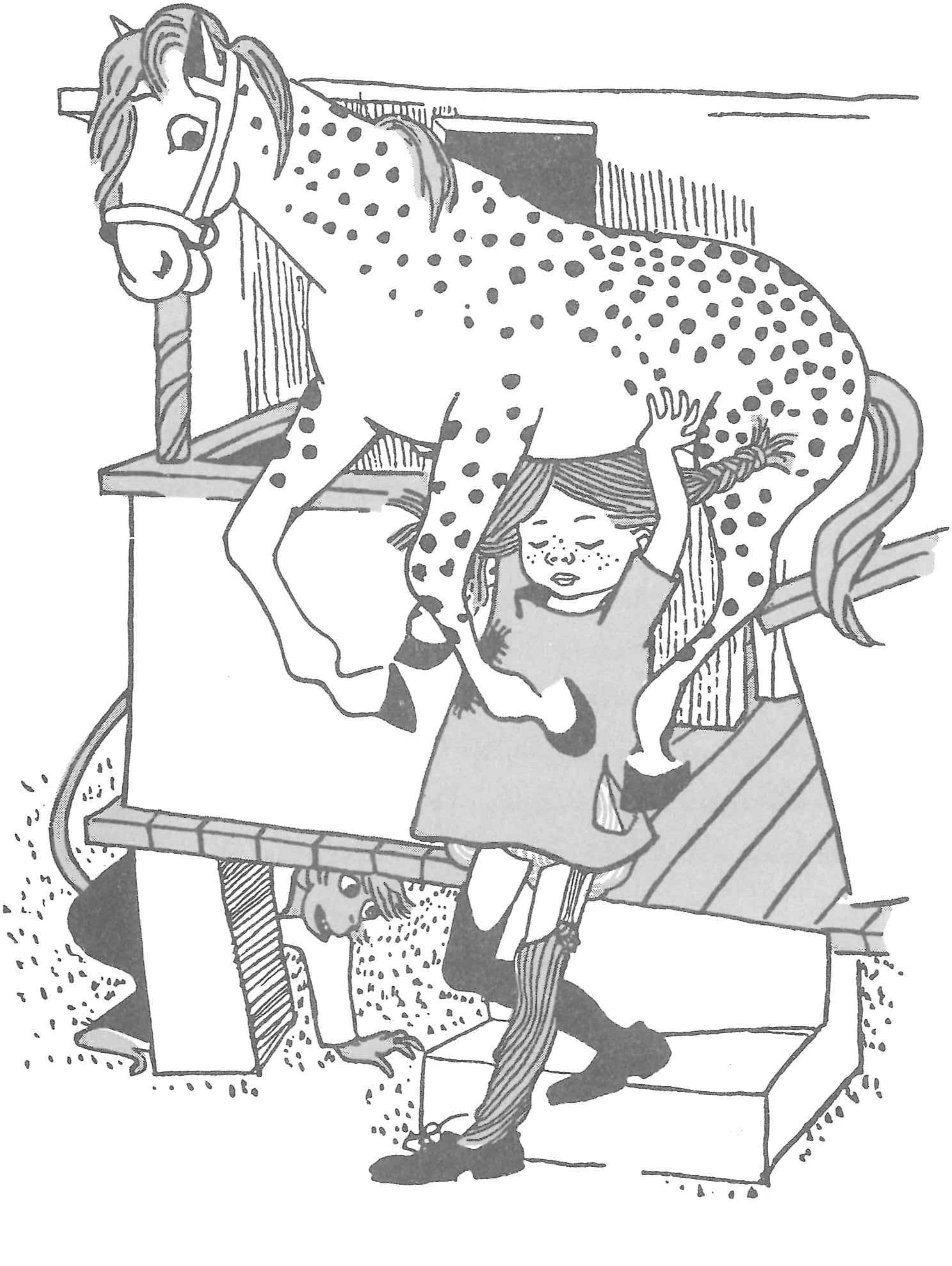
طالما رددت جنان بثقة واعتزاز: «ابي ملك آكلي لحوم البشر. ليس لأحد من الأطفال أب مثل أبي. وقريباً يتمكن أبي من صنع قارب يعود به ليأخذني معه، وعندئذ أصير أميرة بين آكلي لحوم البشر. يا سلام! أليس هذا رائعاً؟»

كان والد جنان قد اشترى البيت القديم المحاط بالحديقة منذ سنوات طويلة. كان يخطط للعيش هناك مع ابنته جنان، عندما يتقدّم به السن ويصبح عاجزاً عن الإبحار. ولكن حدث ما حدث، وأطاحت به تلك العاصفة عن ظهر سفينته وغاب في ظلمة البحار والمحيطات. وهكذا قرّرت جنان ان تمضي إلى «بيت يا ليت» وتسكن فيه وحدها بينما تتابع انتظار عودة أبيها. «بيت يا ليت» هو اسم ذلك المنزل الذي اشتراه والدها وأعدّه لشيخوخته.

وفي ذات مساء صيفيّ جميل ودّعت جنان جميع البحارة الذين يعملون على سفينة والدها. كانوا جميعاً يحبّون جنان، وكانت تحبّهم بالقدر نفسه.

قالت لهم: «وداعاً أيها الشباب!» وطبعت قبلة على جبين كل منهم، وتابعت قائلة: «لا تقلقوا عليّ، سأعتني بنفسي، وسأكون دائماً في الطليعة».

أخذت جنان معها من السفينة شيئين فقط: قرداً صغيراً اسمه نعمان، كان والدها قد أهداها اياه، وحقيبة كبيرة مليئة بقطع الذهب. وهكذا وقف البحارة على ظهر السفينة يراقبونها وهي تمضي وتبتعد حتى غابت عن أنظارهم. مشت دون ان تلتفت وراءها اطلاقاً، بينما كان السيد نعمان يعتلي كتفيها، وهي تحمل الحقيبة الثقيلة بيدها.



وحين غابت عن أنظار البحارة علّق أحدهم قائلاً: «يالها من طفلة رائعة عجيبة!» وكان محقاً في ذلك. فلقد كانت جنان فتاة عجيبة حقاً. وكان أعجب ما فيها قوتها الجسدية الهائلة، حتى أنه ليس في العالم كلّه شرطي في مثل قوتها. بل كان في استطاعتها ان ترفع حصاناً كاملاً بذراعيها ان ارادت. وهذا بالفعل ما كانت ترغب في فعله احياناً. ولذلك فانها في اليوم الذي انتقلت فيه الى «بيت يا ليت» اشترت حصاناً بقطعة ذهبية من الذهب الوفير الذي تملكه. فلطالما تاقت إلى امتلاك حصان خاص بها. وها هي أخيراً تحقق أمنيتها فيصير لديها حصان يقيم في شرفة البيت! وكلما رغبت في احتساء القهوة في الشرفة، رفعت الحصان وأنزلته من الشرفة إلى الحديقة.

في جوار «بيت يا ليت» كان ثمة بيت آخر تحيط به حديقة أخرى، وكان يعيش فيه أبوان مع طفلين رائعين: صبي وفتاة. أما اسم الولد فهو رمزي، وأما البنت فاسمها مها. كانا ولدين مهذّبين مطيعين على قدر كبير من التربية الحسنة. اذ لا يمكن ان يقضم رمزي اظفاره وهو ينفذ أوامر أمه بلا جدال. أما مها فلا يمكن ان ترفع صوتها أو تحتجّ على أمر مهما كان مخالفاً لهواها ورغبتها، وكانت تبدو دائما أنيقة نظيفة مرتّبة بملابسها القطنيّة المكويّة بعناية، فقد كانت حريصة أشدّ الحرص على المحافظة على نظافة ثيابها.

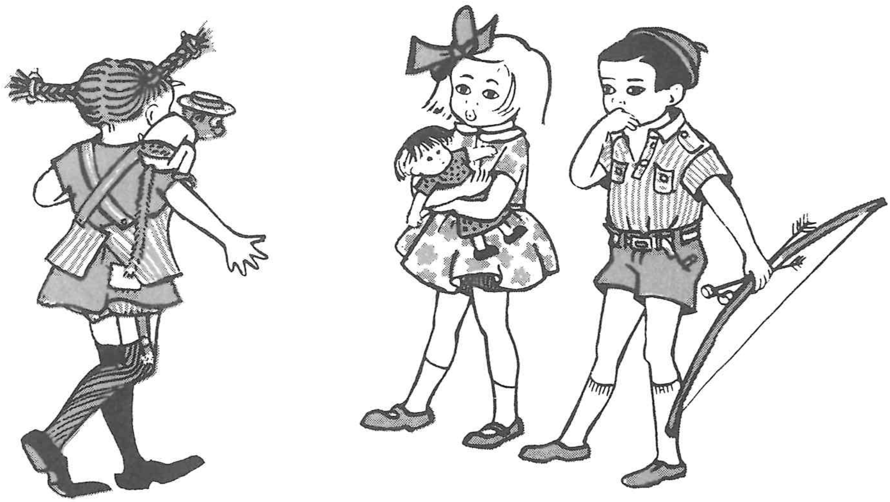
كان الأخوان يشتركان في اللعب في حديقة بيتهما، ولكن، كثيراً ماكانا يتمنّيان لو كان لهما رفيق آخر يلهوان معه. وحين كانت جنان تبحر مع والدها عبر المحيطات، كان الأخوان يطلاّن من خلف السياج على البيت المجاور وحديقته، ويقول أحدهما للآخر: «شيء غريب أن احداً لا يسكن هذا البيت. يجب ان يسكن بعض الناس هنا ـ عائلة لها

أطفال!»

في ذلك المساء الصيفي الجميل، حين وصلت جنان إلى بيتها، لم يكن رمزي ومها في بيتهما. اذ كانا قد خرجا لزيارة جدتهما لمدّة أسبوع، ولذا لم يكن لديهما أدنى فكرة بأن البيت المجاور قد صار مسكوناً.

وفي اليوم الأول عقب عودتهما وقفا أمام بوابة البيت يراقبان الشارع. وحتى تلك اللحظة لم يكن لديهما علم بأن ثمّة فتاة تسكن الآن في البيت المجاور، وأنها يمكن أن تكون الرفيقة المنتظرة. وبينما كانا يقفان هناك يفكران بما يمكن أن يفعلا، ويتساءلان فيما اذا كان ذلك اليوم سيأتي بشيء مثير أم أنه سيكون يوماً مملاً كتلك الأيام التي لا يجدان فيها طريقة للهو - في تلك اللحظة انفتحت بوابة «بيت يا ليت» وخرجت منه فتاة صغيرة. كانت أغرب فتاة وقعت عليها عينا رمزي ومها ولم تكن تلك الفتاة غير الآنسة جنان ذات الجورب الطويل خارجة في نزهتها الصباحية، أما مظهرها فكان على النحو التالي:

كان شعرها بلون الجزر، وكان مجدولاً في جديلتين محكمتين يابستين تنتصبان يميناً وشمالاً بدلاً من أن تنسدلا الى الأسفل، وأما أنفها فكان أشبه بحبة بطاطا صغيرة ومرشوماً بالنقط والنّمش. ويجب الاعتراف بأن فمها كان واسعاً جدا مع أسنان قوّية بيضاء. أما ملابسها فكانت غريبة حقاً، وقد صنعتها بنفسها. كانت تنوي أن تصنعها من قماش أزرق، ولكن لم يكن هناك ما يكفي من ذلك، فاضطرت جنان إلى ان ترقع الثوب برقع حمراء هنا وهناك. وكانت ترفع على ساقيها الرفيعتين زوجاً من الجوارب الطويلة: احدها بني والآخر أزرق. وكانت ترتدي حذاءً أسود، إلاّ أنه كان أوسع من حجم



قدميها بمقدار الضعفين.

كان والدها قد اشترى لها هذا الحذاء من امريكا الجنوبية، وقد اختاره واسعاً ليناسب نمو قدميها في المستقبل، ولم تكن تحب ان تلبس غيره.

ولكن أكثر ما أثار استغراب رمزي ومها ذلك القرد الصغير الذي كان يجلس على كتف جنان. كان قرداً صغيراً يرتدي بنطالاً أزرق وسترة صفراء وقبعة قش بيضاء.

لاحظ رمزي ومها أن جنان تمشي في الشارع وهي تنقل احدى قدميها على الرصيف والاخرى على حد الشارع المائل. ولبثا يراقبانها باستغراب حتى غابت عن أنظارهما. إلاّ انها لم تغب طويلاً، اذ ما لبثت ان عادت، ولكنها كانت هذه المرة تمشي الى الخلف، وحين وصلت بوابة بيت رمزي ومها توقفت.

نظر الطفلان أحدهما الى الآخر بصمت تام . وأخيراً قال رمزي: «لماذا تمشين الى الخلف؟»

أجابت جنان: «لماذا أمشي إلى الخلف؟ ألسْنا نعيش في بلد ديمقراطي حرّ؟ ألا يستطيع الانسان أن يمشي بالطريقة التي يشاء؟ دعني أقل لك هذا: إن الناس في مصر يمشون بهذه الطريقة، ولا أحد يرى في ذلك شيئاً غريباً.»

سأل رمزي: «كيف تعرفين هذا؟ انك لم تزوري مصر أبدا، أليس كذلك؟»

قالت جنان: «لم أزر مصر أبداً؟! بالتأكيد، زرت مصر. كن واثقاً من ذلك. لقد زرت العالم كله. ولم أترك مكانا منه لم أزره، ورأيت من الأشياء ما هو أعجب وأغرب من المشي إلى الخلف. ماذا عساك تقول لو رأيتني أمشي على يديّ كما يفعل الناس في الهند القصيّة؟!»

قال رمزي: «أنت الآن تكذبين.»

صمتت جنان للحظة قصيرة، ثم قالت بنبرة حزينة : «أنت على حق، انني اكذب.»

أخيراً استجمعت مها جرأتها للكلام وقالت: «الكذب حرام، وعمل قبيح.»

قالت جنان بنبرة أكثر حزناً : «نعم، إنّ الكذب عمل قبيح. ولكني انسى ذلك بين الفينة والأخرى. ولكن، كيف تتوقعان من طفلة صغيرة أمها ملاك، وأبوها ملك جزيرة آكلي لحوم البشر، وهي نفسها قضت حياتها مبحرة عبر المحيطات ـ كيف تتوقعان منها أن تقول الحقيقة دائماً؟ وطالما أننا في هذا الحديث دعاني أخبركما بأنه لا يوجد في الكونغو انسان واحد يقول الحقيقة. انهم يكذبون هناك طوال النهار،

ابتداء من الساعة السابعة صباحاً حتى غروب الشمس. ولذا إن كنت اكذب بين الفينة والأخرى فيجب أن تعذراني، وتذكّرا أنني أفعل هذا لأنني مكثت طويلاً في الكونغو. ومع ذلك يمكن أن نكون أصدقاء. أليس كذلك؟»

قال رمزي: «آه، بالتأكيد.» وبالطبع كان يدرك أن جنان قد كذبت من جديد في حديثها عن الكونغو. ومع ذلك فقد أدرك فجأة ان يومه ذاك لن يكون مملاًّ.

قالت جنان: «بالمناسبة، لماذا لا تزوراني لتتناولا الفطور معي؟»

قال رمزي: «لا مانع أبداً. هيا يا مها! »

قالت مها: «نعم .. هيا بنا.»

قالت جنان: «ولكن، يجب ان اقدمكما للسيد نعمان.» وهنا خلع القرد قبّعته وانحنى بأدب جمّ. مشى الجميع عَبْر البوابة القديمة المتهالكة لحديقة «بيت يا ليت»، ثم عَبْر الممرّ المرصوف بالحصى الذي تحيط به الأشجار التي غطت جذوعها الطحالب. وبدت الأشجار مناسبة تماماً للتسلّق. ثم وصل الأطفال البيت وصعدوا فوراً إلى شرفته الخارجية التي تنفتح على الحديقة، وترتفع بضع درجات عن الأرض.

سأل رمزي: «لماذا تحتفظين بحصان في الشرفة؟» اذ إن كل الخيول التي نعرفها تقيم عادة في الاسطبلات! »

أجابت جنان بتمعّن: «في الحقيقة لو وضعته في المطبخ لاعترض حركتي هناك، كما انه لا يحبّ الإقامة في ردهة البيت.»

ربّت رمزي ومها على الحصان، ثم عبرا إلى داخل البيت. كان ثمة

مطبخ وردهة وغرفة نوم. ولكن، بدا أن جنان لم تقم بتنظيف المكان ذلك الأسبوع.

تفحّص رمزي ومها الغرفة بعناية خشية ان يكون ملك لآكلي لحوم البشر جالساً في موضع ما هناك. فهما لم يشاهدا في حياتهما ملكاً لآكلي لحوم البشر. ولكنهما لم يجدا والداً هناك ولا أماً.

سألت مها: « هل تعيشين وحدك هنا؟»

قالت جنان: «بالطبع لا. فالسيد نعمان يعيش معي، وكذلك الحصان.»

قالت مها: «نعم، ولكن أليس لكِ أب أو أم هنا؟ »

قالت جنان بسعادة: « ابداً! اطلاقاً!، لا أحد من هذا القبيل! »

عادت مها لتسأل: « ولكن من يطلب منك الذهاب إلى سريرك في موعد النوم، أو أي أمور أخرى من هذا النوع؟ »

قالت جنان: « أنا أطلب من نفسي. في البداية أطلب من نفسي بطريقة مؤدبة لطيفة، فاذا لم أطعْ ، أطلب من نفسي بأسلوب شديد صارم، فإذا لم أستمعْ للمرة الثانية، صار لا بد من الضرب! صدقاني.»

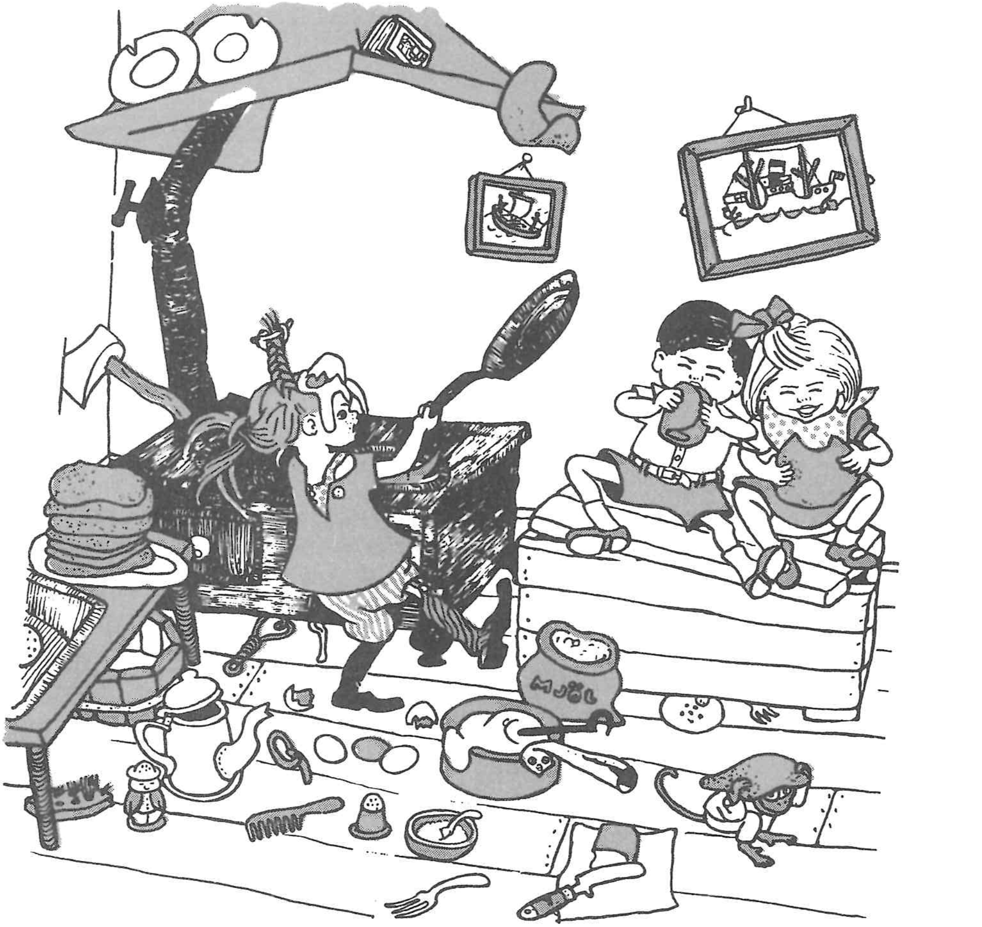
لم يكن من السهل على مها ورمزي ان يفهما ذلك كلّه، ومع ذلك قدّرا أن هذا يمكن أن يكون ترتيباً مناسباً. في هذه الاثناء دخلا المطبخ، وأخذت جنان تهتف قائلة:

«هنا سنصنع الفطائر

هنا نقدم الفطائر

هنا سنأكل الفطائر»

وهنا تناولت جنان ثلاث بيضات وقذفتها في الهواء. سقطت إحداها



على رأسها وانكسرت فسال صفار البيض عن رأسها إلى عينيها. أما البيضتان الباقيتان فقد تمكّنت جنان من التقاطهما ببراعة في وعاء خاص، حيث تهشّمتا هناك.

قالت جنان وهي تمسح عينيها من صفار البيض: «لطالما سمعت أن

صفار البيض نافع للشعر. سوف تريان بنفسيكما كيف ينمو شعري بعد الآن بسرعة عجيبة. في الحقيقة أنّ جميعَ الناس في البرازيل يمشون ويتحركون والبيض على رؤوسهم. ولذا ليس هناك شخص واحد أصْلَع، باستثناء حالة واحدة حصلت مرّة، فقد كان هناك رجل مغفّل كان يأكل البيض بدلاً من أن يدهن به شعره، ولذلك صار أصلع تماماً. وعندما خرج الى الشارع ورآه الناس، عجبوا أشد العجب، تجمّعوا حوله حتى حدثت فوضى كبيرة، وكان لا بدّ من استدعاء الشرطة لِفَضّ التجمّع. »

بينما كانت جنان تتحدث التقطت قشور البيض من الوعاء وتخلصت منها. ثم تناولت فرشاة من النوع الذي يستعمل عادة في الاستحمام، وكانت معلّقة على الحائط، وأخذت تخفق بها مزيج البيض والزبدة بقوة حتى كان السائل اللزج يتطاير ويلطخ الجدران الداخلية. وأخيراً صبّت ما تبقى منه في مقلاة كبيرة كانت موضوعةً على الفرن.

عندما احمرّ أحد وجهي الفطيرة الرقيقة قذفتها جنان نحو السقف فارتفعت عاليا وانقلبت في الهواء على وجهها الاخر، ثم التقطتها جنان في المقلاة من جديد بمهارة فائقة. وحين نضجت الفطيرة واحمرّ وجهاها قذفتها عبر المطبخ فاستقرت في الطبق الموضوع على الطاولة.

صاحت جنان:«هيا! كُلاَ! كُلاَهَا قبل ان تبرد! »

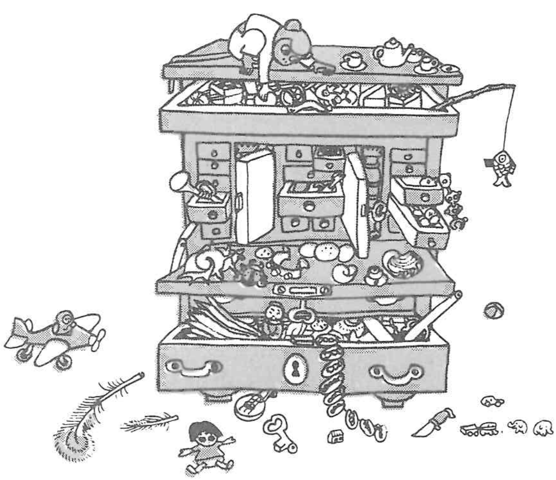
وهكذا تناول رمزي ومها الفطيرة، ووجداها لذيذة جداً.

بعد ذلك دعتهما جنان الى غرفة الجلوس. لم يكن هناك غير قطعة أثاث واحدة هي خزانة أدراج كبيرة تشتمل على عدد كبير من الأدراج الصغيرة. فتحت جنان الأدراج وأرت رمزي ومها جميع الكنوز التي تحتفظ بها هناك. كان هناك عدد من بيوض الطيور الرائعة،

والاصداف والحجارة الغريبة، والصناديق الصغيرة الجميلة، والمرايا الفضّية البديعة، وعقود اللؤلؤ، وأشياء أخرى متنوعة مما جمعت جنان مع والدها في رحلاتهما الكثيرة حول العالم. وقدمت جنان لرفيقيها الجديدين هدية ليذكراها بها، فحصل رمزي على خنجر ذي مقبضٍ مرصّع باللؤلؤ اللامع، بينما حصلت مها على صندوق صغير رُصّع غطاؤه بالأصداف الزهرية اللون. وفي داخل الصندوق كان ثمّة خاتم مرصّع بحجر كريم أخضر اللون.

ثم قالت جنان: «يمكن ان تذهبا الآن الى بيتكما، حتى يكون بامكانكما ان تعودا لزيارتي غداً، لأنه اذا لم تذهبا الى بيتكما فلن يكون باستطاعتكما ان تعودا، وذاك شيء مؤسف!»

وافق رمزي ومها ان ذلك سيكون شيئاً مؤسفاً حقاً. ولذا فقد مضيا الى بيتهما. ومرّا في الطريق بالحصان الذي كان قد فرغ من التهام الشعير، ثم عبرا من بوابة « بيت يا ليت »، ولوح لهما السيد نعمان بقبعته مودعاً.



جنان تفتش، وتعثر على الأشياء

استيقظت مها مبكّرة في صباحِ اليوم التالي. قفزت من سريرِها وركضت نحو رمزي، جذبت ذراعه وصاحت به قائلة: «اصحُ يا رمزي. هيا! استيقظ لكي نذهبَ ونرى تلك الفتاة الطريفة ذات الحذاء الواسع.»

وما هي إلا لحظات حتى كان رمزي مستيقظاً . وبينما كان يخلع سترة بيجامته قال: «لقد حلمت بأن شيئاً مثيراً سيحدثُ اليوم، ولكني نسيته.» وهكذا انطلقا الى الحمام وغسلا وجهيهما ونظفا أسنانهما بالفرشاةِ بسرعةٍ أكبرَ من المعتاد. وارتديا ثيابهما على عجل. وما هي إلا لحظات حتى كانا ينزلان الدرج ويجلسان على طاولة الافطار مبكرين ساعة كاملة عما كانت أمّهما تتوقع. مطالبين أمّهما بالشوكولاته الساخنة على الفور.

تعجّبت الأم من كل هذه العجلة وسألت قائلة: «ما الذي يدعوكما الى كل هذه العجلة؟»

أجاب رمزي قائلاً: «نريد أن نزورَ الفتاةَ التي سكنت البيت المجاور حديثاً.»

قالت مها: «نعم. وقد نمكث هناك طوال النهار.»

في ذلك الصباح كانت جنان مُنْشغِلةً في إعدادِ نوعٍ من البسكويت. وكانت قد اعدت مقداراً هائلاً من العجين الذي مدته على طول أرضية المطبخ. وكانت تُحدّثُ قردها الصغير قائلة: «ما فائدة لوح الخشب

الذي يُرَقّ عليه ا لعجين اذا كان الانسان ينوي أن يخبزَ خمس مائة قطعة من البسكويت؟ »

كانت تتمدّد على الأرض وتقطعُ العجين المرقوق قطعاً على شكل قلب، وكانت تفعل ذلك بنشاط وهمّةٍ وكأنّ حياتها تعتمد على ذلك.

خاطبت جنان قردها الصغير قائلة: «توقف عن القفز بين العجين يا سيد نعمان.» وهنا سمعت جرس الباب.

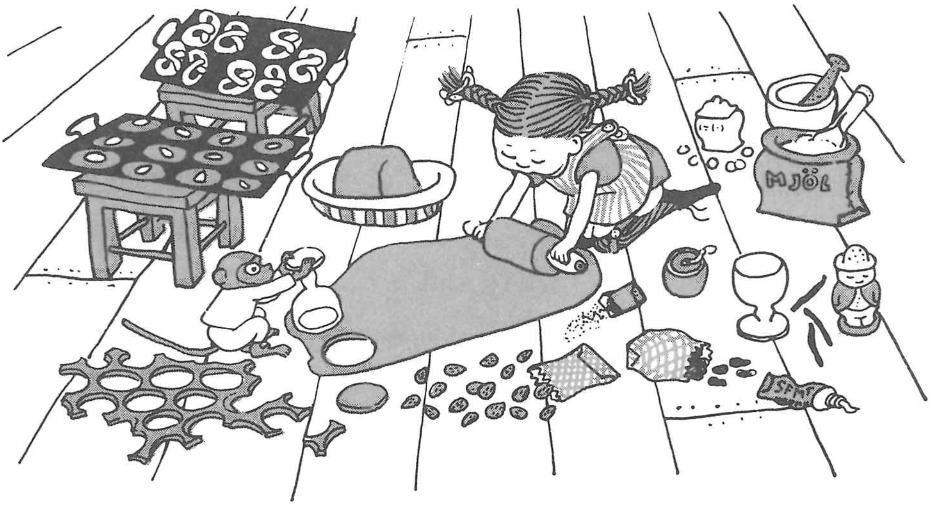
ركضت جنان الى الباب لتفتحه، وكان الطّحينُ الابيضُ قد غطّاها من الرأس الى القدمين كما هي حال الطحّان. وحين صافحت مها ورمزي بحرارة بالغة، تصاعدت من جسمها سحابة من الطّحين وهبطت عليهما.

قالت جنان مرحّبة: «أهلاً ومرحباً. شرّفتما.» هزّت مريولها فطارت منه سحابةٌ أخرى من الطّحين غمرت مها ورمزي ودخلت في حلقيهما حتى أخذا يسعلان بشدّة.

سأل رمزي: «ماذا تفعلين؟ »

أجابت جنان: «حسناً، لو قلت لكما أنني كنت أُنظف المدخنة فإنكما أذكى من ان تصدقاني، ولذا سأقول الحقيقة. انني أخبز بعض «البسكويت»ولكني سأفرغ من عملي بعد قليل. وحتى ذلك الحين تستطيعان الجلوس على ذلك الصندوق الخشبي.»

أخذت جنان تعملُ بسرعة عجيبة. وطفقَ رمزي ومها يراقبانها وهي تتابعُ عملَها بالعجين، فقد كانت تقذف قطع العجين المرقوقة في صفيحة الخَبْز فتحط في أماكنها الصحيحة، ثم ترفع الصفيحة على رأس إصبعها وتلفّها ثم تطوّح بها عبر الهواء فتستقرّ في داخلِ الفرن. بدا



رمزي ومها وكأنّهما يراقبانِ أعمالاً بهلوانية في السيرك.

وأخيراً صفقت جنان باب الفرن على آخر صفيحة من صفائح الخَبْز المعدنية، فانغلق البابُ بطرقة قوّية مسموعة. وقالت جنان: «فرغنا.»

سأل رمزي: «ماذا سنفعل الآن؟»

أجابت جنان: «لا أدري ماذا ستفعلان. أما بالنسبة إليّ فأنا لا أستطيع الجلوس خاملةً بلا عمل، أنا متخصّصة في البحث عن الأشياء واستخراجِها. وعندما يكون الانسان متخصّصاً في هذا فإنه لا يجد دقيقة فراغ.»

سألت مها: «متخصّصة! ماذا قلت؟»

أجابت جنان: «متخصّصة في استخراج الأشياء.»

سأل رمزي: «ما معنى هذا؟ »

أجـابت جنان وهـي تكنّس الطّحين المتـبـقي على الأرض في كـومـة صغيرة: «يعني ذلك أنني خبيره في التّفتيش عن الأشياء المخفيّة. هذا هو المعنى. العالم مليء بالأشياء، ولا تحـتـاج هذه إلاّ إلى شخص مثلي يفتش عنها ويستخرجها.»

سـألت مـهـا: «أي نوع من الأشياء؟»

أجـابت جنان: «كل الأنـواع: قطع الذهب، ريش النعـام، الفـئـران الميتة، المسامير والبراغي الصغيرة، وأشياء من هذا القبيل.»

بدا لرمزي ومـهـا أن هذا عملٌ مثير وممتع، ورغبا أشدّ الرغبة في مشاركة جنان في التفتيش عن الأشياء. ولكن رمزي قال انه يأمل أن يجد قطعةً من الذهب بدلاً من مسمار صغير.

قالت جنان: «علينا أن ننتظرَ ونرى. من يفتّش يجد دائما شيئاً ما. ولكن يجب ان نسرع قبل ان يسبقنا آخرون في هذا العمل فـيـجدوا الأشياء الثمينة كالذهب قبلنا.»

وهكذا خرج الباحثون الثلاثة. وبدا لهم أن أفضل ما يبدؤون به هو البحث حول بيوت الحي. فقد أخبرتهما جنان أنه على الرغم من أن الإنسان قد يجد مسماراً أو برغياً في عمق الغابة، فإن أفضلَ الأشياء يوجد عادة في المناطق السكنية حيث يعيش الناس.

ولكنهـا اسـتـدركت بالقول: «لكنّ هذا لا ينطبق في جميع الأحوال. فقد حدث معي العكس تماماً في بعض المرّات. أذكر مثلاً انني كنت مرة أفتش عن الأشياء في غابة جزيرة «يورنيو» وفي وسط الغابة الكثيفة التي لم تصل اليها قدم انسان من قبل، وجدت .. مـاذا تخمنان أني وجدت؟ وجدتُ ساقاً خشبية جميلة! تصدقت بها بعد ذلك على رجل عجوز ذي ساق واحدة. سعد بها كثيراً وأخبرني انها أفضل من



كل الأطراف الاصطناعية التي تباع في السوق!»

أخذ رمزي ومها يراقبان جنان ليتعلّما منها فن البحث والتفتيش. أما هي فقد جعلت تركض من جانب الى آخر في الطريق وهي تظلّل عينيها بيدها، وتبحث وتفتش بعناية. وبين الفينة والأخرى كانت تزحف على ركبتيها وتدخل يدها في سياج ما، ثم تقول بصوت مشوب بخيبة الأمل: «غريب! كنت متأكدة من انني رأيت قطعة ذهب!»

سألت مها: «أحقاً تستطيعين أخذ ما تجدين؟»

أجابت جنان: «نعم، أي شيء اجده ملقى على الارض، يصبح ملكي.»

بعد قليل رأى الثلاثة رجلاً يستلقي نائماً على العشب في حديقة بيته الأمامية.

صاحت جنان: «هذا مستلق على الأرض، ونحن وجدناه، ولذلك سنأخذه!»

شعر رمزي ومها بالخوف وصاحا بجنان: « لا. لا يا جنان! لا

تستطيعين أخذ رجل، ثم ماذا سنفعل به على كل حال اذا أخذناه؟»

قالت جنان: «ماذا سنفعل به؟ نستطيع الإستفادة منه في امور كثيرة، يمكن مثلاً أن نحتفظ به في قفص الأرنب بدلاً من الأرنب، ونطعمه ورق الهندباء، او الخسّ والجزر. ولكن، اذا لم يعجبكما ذلك فيمكن ان ندعه وحاله هنا. مع اني أكره أن يأتي باحثون غيرنا فيجدوه ويظفروا به بدلاً منا. كما تشاءان على كل حال، فلْنتابع.»

وهكذا تابعوا السير والبحث. فجأة اطلقت جنان شهقةً قوية وقالت: «رائع!رائع! لم أرَ مثل هذا ابداً» والتقطت من بين العشب علبة صفيح صدئة، وتابعت كلامها بصخب بالغ: «ما أعظم هذا الاكتشاف! ما أروع هذه اللّقيا! عظيم!»

نظر رمزي بتشكّك الى علبة الصفيح القديمة الصدئة وقال: «ماذا يمكن ان تستفيدي منها؟»

أجابت جنان: «يمكن استعمالها بطرق كثيرة كثيرة! احدى هذه الطرق هي ان نحفظ الكعك بها. وعندئذ تصبح من نوع «العلبة ذات الكعك». أما الطريقة الاخرى فهي ألاّ نضع فيها الكعك. وعندئذ تصبح



من نوع «العلبة التي بلا كعك». وفي هذه الحالة لن تكون لطيفة بنفس الدرجة، ولكن لا بأس في ذلك ايضاً.»

تفحّصت العلبة التي كانت مغطّاه بالصدأ فعلاً، وكانت مثقوبة القعر، وبعد تمعّن قالت: «يبدو أنها من نوع العلبة التي بلا كعك، ولكن يمكن أن يغطي الشخصُ رأسَه ويتظاهر بأنه في منتصف الليل!»

وهذا ما فعلته. فقد أدخلت رأسَها في العلبة وأخذت تمشي عبر الحي هكذا. ولم تتوقف حتى اصطدمت بسياج سلكي فوقعت عنه، واصطدم رأسُها المغطّى بالصفيحة بالأرض مع طرقة قوية.

نزعت جنان الصفيحة عن رأسها وقالت: «هل تريان الآن فائدة الصفيحة؟ لو لم تكن على رأسي، لَوَقَعْتُ على وجهي مباشرة وأصابني من ذلك أذى كبير.»

قالت مها: «نعم . ولكن، لولا أنك كنت تغطين رأسك ووجهك بالصفيحة لما وقعت عن السياج.»

قبل ان تفرغ مها من كلامها أطلقت جنان صيحةَ فوز أخرى. فقد عثرت الآن على «بكرة» خيوط فارغة.

قالت وهي تقلّبها بيدها: «يبدو ان هذا هو يوم سعدي! ما أروع هذه «البكرة!» يمكنني أن استعملَها لِنَفْخِ فقاعات الصابون، ويمكن ايضاً أن أربطها بخيط وأجعلها قلادة لعنقي. سأعود الى البيت فوراً لأفعل هذا.»

في هذه اللحظة انفتحت بوابة أحد البيوت المجاورة، واندفع منها صبي صغير بدا عليه الخوف الشديد. ولم يكن ذلك مستغرباً، فقد تبعه خمسة صبيان يلاحقونه. وما لبث هؤلاء ان أمسكوا به ودفعوه الى

السياج، وبدؤوا جميعاً يلكمونه بقسوة. جُرح الصّبي، ورفع ذراعيه أمام وجهه ليتّقي الضربات. صاح أكبر الصبيان وأقواهم: «عليه أيها الفتيان! اضربوا! حتى لا يجرؤ مرة اخرى على الخروج الى الشارع.»

قالت مها: «آه، إنهم يضربون سامر المسكين، ما أقساهم!»

قال رمزي: «إنه زياد المتوّحش. هو المسؤول. فهو لا يتوقّف عن المشاجرة. خمسة مقابل واحد!! يا للجبناء!»

مشت جنان نحو الصّبيان ونقرت بإصبعها على كتف زياد من الخلف، وقالت: «هيه! أنت! هل تريدون تهشيم سامر الصغير حتى اجتمعتم الخمسةَ عليه؟»

استدار زياد ليرى فتاة لم يعرفْها من قبل! فتاة غريبة مشاكسة تتجرّ أ على لكزه! في البدء حملق فيها مندهشاً، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة استهزاء عريضة.

قال زياد لأصحابه: «أيها الاولاد! اتركوا سامر الآن وانظروا الى هذه البنت! وأي بنت!»

ضرب على ركبتيه وأطلق ضحكة عالية، وفي لحظة واحدة تحلّق جميع الصبيان حول جنان، كلهم باستثناء سامر الذي مسح دموعه ومشى بحذر ليقف الى جانب رمزي.

تابع زياد سخريته قائلاً: «هل رأيتم في حياتكم شعراً كشعرها؟ أحمر كالنار! وانظروا الى حذائها!»

ثم خاطب جنان قائلاً: «هل يمكن أن أستعير حذاءك هذا؟ فأنا أرغب في استعماله قارباً لأجذّف في البحيرة. اذ ليس عندي قارب.»

ثم أمسك باحدى جديلَتَيْ جنان، ولكنه ما لبث ان نفض يده متظاهراً بالألم وصرخ: «آه. حرقت يدي!»

ثم أمسك الصبيان بعضهم بأيدي بعض وشكّلوا طوقاً حول جنان، وأخذوا يقفزون ويصرخون: «يا أم الشعر الأحمر! يا أمّ الشعر الأحمر!»

وقفت جنان في وسط الحلقة واكتفت بابتسامة وديّة وادعة.

كان زياد يأمل في أن تثور ثائرتها وتبدأ بالبكاء، أو على الأقل أن تُظْهِرَ بعض الخوف. وعندما لم يحدث شيء من هذا قام بدفعها.

قالت جنان: «لا أعتقد أنك تحسن معاملة السيدات.» ثم رفعته بذراعيها القويتين عالياً في الفضاء، وحملته الى شجرة بلوط وعلقته على أحد اغصانها. ثم أخذت الصبيّ الثاني وعلّقته على غصن آخر. أما الثالث فوضعته على رأس عمود أمام أحد البيوت، وأما الرابع فقذفته من فوق السّياج فوقع في حوض للزهور، وأما الأخير فقد وضعته في عربة صغيرة كانت متروكة على الرصيف. ثم وقفت جنان ورمزي ومها وسامر ينظرون الى الأولاد الأشقياء لبعض الوقت. اما هؤلاء الاولاد فقد أخرسَ الخوفُ والدهشة ألسنتَهم.

صاحت جنان بهم: «إنكم جبناء! خمسة يهاجمون طفلاً واحداً! هذا فعل الجبناء. ثم بدأتم في دفع فتاة صغيرة لا حول لها ولا قوة. آه، يا للعيب! يا للخزي والعار! يا للؤم!»

ثم خاطبت مها ورمزي قائلة: «هيا الآن! فلنعد الى البيت.»

وقالت لسامر: «اذا حاولوا ضربك مرة اخرى، أخبرني!»

ثم قالت لزياد الذي كان ما يزال معلقاً على الشجرة دون أن يجروَ على الحركة: «هل عندك شيء آخر تقوله عن شعري وحذائي؟ إذا

كان كذلك فالأفضل أن تقول ذلك الآن قبل أن اعود الى بيتي.»

ولكن زياد لم يكن عنده بالطبع ما يقوله عن حذاء جنان وشعرها. وهكذا حملت جنان صفيحتها باحدى يديها، وبكرة الخيوط بالأخرى، ومضت عائدة الى بيتها، يتبعها رمزي ومها.

حين دخلوا حديقة بيتها توقفت جنان كأنها فطنت الى شيء ما، وقالت: «آه! هذا شيء محرج. فقد عثرت أنا على شيئين رائعين، أما أنتما فلم تعثرا على شيء. يجب ان تبذلا جهداً أكبر. رمزي! لماذا لا تفتش في تلك الشجرة القديمة المجوفة؟ فالأشجار قد تكون أفضل مكان للبحث عن الأشياء.»

قال رمزي إنه لا يعتقد انه ومها سيتمكنان يوماً من العثور على شيء. ولكنه مع ذلك أراد أن يرضي جنان فمد يده ببطء في جذع الشجرة المجوّف.

هنا صاح بدهشة غامرة: «يا الهي!» واخرج يده، واذا به قد وجد كتاب مذكرات صغير مكسوّ بغطاء جلدي رائع وقد ثُبّتَ عليه قلمُ رصاص فضي.

قال رمزي: «هذا عجيب!»

قالت جنان: «هل رأيت؟ ليس هناك ما هو اروع من ان يكون الانسان بحّاثة عن الأشياء. من الغريب أن قِلّة من الناس يمارسون هذا العمل. تجدهم يعملون في الحياكة، او صناعة الأحذية، او تنظيف المداخن وما أشبه ذلك، أما مهنة البحث عن الأشياء .. فلا! انهم يترفعون عن ذلك.»

ثم قالت لمها: «هل ترين جذع تلك الشجرة المقطوعة؟ إنه مجوف من



الأعلى. لماذا لا تمدين يدك داخله؟ كثيراً ما يجد الانسان اشياء في مثل هذا المكان.»

أدخلت مها يدها في الجذع المقطوع، فأمسكت على الفور بقلادة من المرجان الأحمر. وقف رمزي ومها وقتاً مسمرين من الدهشة الغامرة ، وقد قررا ان يمارسا مهنةَ البحث عن الأشياء يومياً منذ تلك اللحظة.

كانت جنان قد أمضت نصف الليلة الماضية تلعب بالكرة، ولذا داهمها الآن نعاس مفاجيء، فقالت: «أعتقد أنني احتاج الآن الى بعض النوم. هل تستطيعان الدخول معي لوضعي في الفراش؟»

حين جلست جنان على حافة السرير وأخذت تخلع حذاءها، أرسلت الى رمزي ومها نظرة عميقة متمعّنة وقالت: «يريد أن يجذف عبر البحيرة! هاه! زياد الضخم! هكذا قال. لا بأس! سأعلمه التجذيف يوماً! بالتأكيد سأعلّمه.. في المستقبل.» قالت ذلك بأسلوب ينمّ على الازدراء.

سأل رمزي باحترام: «ولكن، لماذا تلبسين هذا الحذاء الواسع؟»

أجابت جنان: «حتى يكون بإمكاني أن أحرّكَ أصابع قدمي!»

ثم زحفت داخل السرير، ولكنها بدلاً من أن تضع رأسَها على الوسادة مثل كل الناس، وضعت قدميها على الوسادة، بينما جعلت رأسها في الطرف الآخر تحت الغطاء، وقالت: «هكذا ينام الناس في جواتيمالا. وهي الطريقة الوحيدة الصحيحة للنوم. هل تريان؟ بهذه الطريقة أستطيع أن أحرّك أصابع قدمي كما أشاء في أثناء نومي.»

ثم قالت: «هل تستطيعان النوم بلا «ترويده»، أعني اغنية من أغاني النوم؟ بالنسبة إليّ يجب أن أغني لنفسي دائما قبيل النوم، وإلاّ فانني لا أستطيع النوم لحظة واحدة.»

سمع رمزي ومها همهمة من تحت الغطاء. لقد كانت جنان تغني لنفسها بصوت خفيف لتساعد نفسها على النوم. وهكذا خرج رمزي ومها بحذر على رؤوس أصابعهما خشْيَةَ أن يزعجا جنان. وحين صارا في الدهليز، استدارا وألقيا نظرة أخيرة على سرير جنان. لم يكن يظهر شيء من جنان تحت الغطاء، إلاّ قدميها الموضوعتين على الوسادة. كانت جنان تستلقي هادئة تحت الغطاء، إلا انها كانت تحرك أصابع قدميها بنشاط واضح.

ركض رمزي ومها نحو بيتهما، وكانت مها تقبض بعناية على قلادتها المرجانية. وقالت: «لقد كان ذلك أمراً عجيباً. قل لي يا رمزي! هل تعتقد .. أعني هل تعتقد أن جنان قد وضعت هذه الأشياء في اماكنها مسبقاً؟»

قال رمزي: «لا استطيع ان أجزم بذلك. في الحقيقة، عندما يتعلق الامر بجنان، فلا يستطيع الانسان ان يجزم بشيء.»

جنان تلعب لعبة المطاردة مع الشرطة

انتشر الخبر في المدينة كلّها أن فتاة صغيرة لا تتجاوز التاسعة من عمرها تعيش وحيدة في « بيت يا ليت ». ورأى جميع الآباء والأمهات في المدينة أن هذا الوضع غير طبيعي وغير سليم اطلاقاً. اذ إن جميع الاطفال يحتاجون الى من يوجّههم، ويحتاجون الى الذهاب الى المدرسة لتعلم جدول الضرب. وهكذا قرّر رجال المدينة ونساؤها انه يجب ان توضع الفتاة الصغيرة التي تعيش في «بيت يا ليت» فوراً في دار رعاية الاطفال وهي دار خاصة بالاطفال الأيتام والذين لا أهل لهم، لتعيش هناك وتتعلم باشراف المدرسين والمسؤولين.

في عصر أحد الأيام اللطيفة، دعت جنان صديقيها مها ورمزي الى بيتها لتناول الشاي والكعك. ووضعت الأطباقَ والفناجين على درجات الشرفة الاماميّة. كان يوماً مشمساً ورائعاً، وكانت زهور الحديقة تبعث روائح عذبة في المكان. وأخذ السيد نعمان يتسلق حاجز الشرفةِ الخشبي ويهبط عنه مراراً وتكراراً. أما الحصان فكان يمد رأسه بين الفينة والأخرى متوقعاً أن تقدّم له قطعة كعك.

مدت جنان ذراعيها وساقيها إلى ابعد مدى ممكن وقالت: «ما أجمل ان يستمتع الانسان بالحياة!»

في هذه اللحظة أقبل شرطيان عبر بوابة الحديقة.

قالت جنان: «آه. لا بد ان هذا اليوم هو يوم سعدي ايضاً. فأنا أفضل الشرطة على كل شيء، إلاّ الفراولة وفطيرة التفاح.»

ثم أسرعت لاستقبال الشرطيين ووجهها يشع بهجة وسعادة. قال أحدُ الشرطيين: «هل أنت الفتاة التي تعيش في «بيتياليت؟»

أجابت جنان: «لا، أبداً! فأنا عمتها الصغيرة التي تعيش في الطابق الثالث في الطرف الآخر من البلدة.»

لم تقل هذا إلاّ لتداعب الشرطيين. لكنّ الشرطيين لم يُعجِبْهما هذا النوع من الدّعابة. وطلبا منها ان تكفَّ عن ذلك. ثم شرحا لها أن اهل البلدة الطيبين قد رتّبا لها ان تنزل في دار رعاية الاطفال.

قالت جنان: «ولكنّي اعيش في دار الاطفال منذ وقت.»

قال أحد الشرطيين مستغرباً: «ماذا؟ هل رُتّبَ الأمرُ إذن؟ أية دارٍ للأطفال تلك التي وُضِعْتِ فيها؟»

أجابت جنان باعتزاز: «هذه الدار! فأنا طفلة. وهذا بيتي. ولا يعيش هنا أيّ من الكبار. واذاً فهذه دار للأطفال! وهي واسعة جداً.»

قال الشرطي مبتسماً: «يبدو أنك لم تفهمي مقصدي ايتها الطفلة العزيزة. يجب ان تأتي الى مؤسّسة حقيقية للأطفال الذين لا أهل لهم، وذلك لكي تتلقي العناية اللازمة.»

تساءلت جنان: «هل يسمح للخيول ايضاً بالاقامة في تلك «المُسَأسأة» ؟»

أجاب الشرطي: «بالطبع لا!»

قالت جنان بوجوم: «أم م .. هذا ما ظننته. حسناً، ماذا عن القرود؟»

أجاب الشرطي: «لا، بالتأكيد. يفترض انك تعرفين ذلك! »

قالت جنان: «هكذا اذن! أم م .. اذن يجب ان تبحث لك عن أطفال



آخرين في مكان آخر من أجل تلك «*المسأسأة*»! فأنا بالتأكيد لا أنوي الذهاب اليها.»

قال الشرطي: ألا تدركين انك يجب ان تذهبي الى دار الأطفال؟ »

قالت جنان: «لماذا؟»

قال الشرطي: «لكي تتعلمي هناك.»

قالت جنان: «ماذا اتعلم هناك؟»

أجاب الشرطي: «أشياء كثيرة مفيدة. مثل جداول الضرب.»

قالت جنان: «لقد تدبرت أموري جيداً طوال تسع سنين بدون جداول« *الرّضب*» تلك. ولذا أعتقد انني أستطيع الاستمرار بدونها.»

قال الشرطي: «ولكن، فكّري بالإحراج الذي يمكن ان يسبّبه لك الجهل والأمية. تصوري نفسك قد كبرت وسألك بعض الناس عن عاصمة البرتغال ولم تعرفي الجواب! ألا يكون ذلك محرجاً ومخجلاً؟»

قالت جنان: «بل أستطيع أن أُجيب. اذ سوف أقول للسائل: اذا كنت مهتماً بمعرفة عاصمة البرتغال الى هذا الحد، وبالك مشغول بهذا الأمر، فلماذا لا تكتب مباشرة الى البرتغال وتسألها عن عاصمتها؟»

قال الشرطي: «طيب! ولكن ألا تشعرين عندئذ بالأسف لأنك لا تعرفين الجواب بنفسك؟»

قالت جنان: «ربما، نعم» ثم انحنت ووقفت على يديها فصار رأسها الى الأسفل وساقاها الى الاعلى في الهواء بينما تابعت قائلة: «ولكن الانسان يصادف أوقاتاً غير ممتعة احياناً! على كل حال، لقد سافرت مرة الى لشبونة مع والدي.» قالت ذلك وهي ما تزال تنتصب بالمقلوب مرتكزة على ذراعيها، إذ انها تستطيع الكلام وهي على هذه الحال.

هنا شعر الشرطيان بأن متابعة الحوار بهذه الصورة أمر لا جدوى منه. فأوضح لها احدهما ان الأمور لن تسير على هواها، اذ لا بد من انتقالها الى دار الأطفال فوراً. ثم تقدم منها وأمسك بذراعها ... ولكن جنان سرعان ما حررت ذراعها منه، ثم نقرته بأصبعها نقرة لطيفة وقالت: «طاردني!». وقبل ان يرمش الشرطي، كانت جنان قد تسلّقت حاجز الشرفة الأماميّة، ومن هناك قفزت بسرعة خاطفة الى الشرفة العلوية المطلة. لم يجد الشرطيان في نفسيهما القدرة على التسلق بالطريقة نفسها، ولذا هُرعا الى داخل البيت وصعدا الدرج الداخلي نحو الشرفة العلوية. ولكن، ما إن بلغا الشرفة العلوية من الداخل، حتى كانت جنان قد صعدت الى سطح الكوخ المائل وصارت في منتصفه. كانت تقفز صاعدة على ألواح السقف الخشبية كأنها القرد. وفي لحظة واحدة بلغت قمة السقف، ومن هناك قفزت بسهولة الى المدخنة وتعلقت



بأعلاها. بقي الشرطيان واقفين في الشرفة العلوية يحكّان رأسيهما، أما رمزي ومها فكانا يقفان في الحديقة الأمامية يراقبان جنان.

صاحت جنان: «ما أمتع لعبة المطاردة! شكراً لكما على هذه الزيارة اللطيفة ايها الشرطيان. حقاً هذا يوم آخر من ايام سعدي. هذا واضح.»

بعد لحظة تفكير، خرج الشرطيان وأتيا بسلّم خشبي أسندا أعلاه الى حافة السطح، وبدءا بالصعود واحداً بعد الآخر لإنزال جنان. ولكن، بدا عليهما شيء من الخوف حين بلغا السطح فصارا ينقلان اقدامهما بحذر، ويضبطان توازنهما بصعوبة، بينما كانا يتقدّمان نحو جنان.

صاحت بهما جنان: «لا تخافا! ليس ثمة خطورة. ما هو إلاّ لهو ممتع.»

حين صار الشرطيان على بعد خطوتين من جنان، قفزت بسرعة من المدخنة، وجرت عبر السطح نحو الحافة الأخرى وهي تضحك وتقهقه. كان ثمة شجرة قريبة من الحافة.

صاحت جنان: «انظروا كيف أقفز وأغوص.» ثم قفزت نحو الشجرة واستقرت على رأسها متعلقة بأحد الأغصان. تأرجحت الى الأمام والخلف قليلاً، ثم قفزت من جديد الى الأرض، ثم ركضت نحو السلّم وابعدته عن السطح.

عندما قفزت جنان من السطح، بدا الشرطيان ابلهين ومثيرين للسخرية، ولكنهما بديا اكثر بلهاً حين عادا يمشيان على السطح المائل بحذر وخوف ليصلا الى موضع السلّم، ثم همّا بالنزول عليه، ليكتشفا انه لم يعد موجوداً هناك. في البدء غضبا غضباً شديداً من جنان التي كانت تقف على الأرض تنظر اليهما. وطلبا منها بلهجة صارمة أن تعيد السلّم

على الفور، وإلاّ فسوف تلقى منهما ما لا يسرّها.

قالت جنان بلهجة تأنيب: «لماذا كل هذا الغضب؟ اننا نلعب لعبة المطاردة. هذا كل ما في الأمر. ولذا يجب ان نحافظ على الروح الرياضية ونبقى أصدقاء.»

فكّر الشرطيان بعض الوقت، وأخيراً قال أحدهم بصوت ملّطف: «هيا ايتها الفتاة اللّطيفة. أعيدي السلّم لكي نتمكن من الهبوط.»

قالت جنان: «سأفعل بالطبع.» وفي لحظة سريعة اعادت السلّم مكانه، وتابعت قائلة: «وحين تنزلان، سنشرب الشاي معاً، ونقضي وقتاً ممتعاً.» ولكنّ الشرطيان كانا مخادعين حقاً، فما إن وصلا الى الأرض حتى ركضا نحو جنان وهما يصيحان: «ستدفعين الثمن الآن، ايتها الفتاة



الشرسة!»

ولكن جنان قالت: «لا، لم يعد عندي الآن وقت للّعب، على الرغم من أنه لعب ممتع، يجب أن أعترف بذلك.»

ثم امسكت بحزامي الشرطيين بقوة، وحملتهما عبر الحديقة والبوابة الى الشارع. وهناك انزلتهما واجلستهما على الأرض. ومر عليهما وقت طويل قبل ان تمكنا من التقاط انفاسهما، لينهضا ويبدءا في التحرك.

هنا صاحت جنان: «انتظرا لحظة!» ثم ركضت الى داخل المطبخ، وعادت بقطعتي كعك، وقدمتهما للشرطيين قائلة: «هل تحبان ان تتذوقا كعكي! انه محروق قليلاً ، ولكن لا أظن ان هذا يؤثر على الطعم.»

ثم عادت الى رمزي ومها اللذين كانا يقفان مشدوهين مما رأيا، وكأنهما لم يستوعبا كل الذي حدث. وهرع الشرطيان عائدين الى البلدة وأخبرا الرجال والنساء هناك ان جنان لا تصلح لدار رعاية الأطفال. بالطبع لم يخبرا الناس عمّا حدث معهما وأنهما اضطرا الى الصعود الى سقف البيت. ووافق الجميع على انه قد يكون من الأفضل ان تبقى جنان في «بيت يا ليت» ، وانها اذا كانت ترغب في الذهاب الى المدرسة فإنها تستطيع أن ترتّب ذلك بنفسها.

ومع ذلك فقد قضت جنان ورمزي ومها وقتاً جميلاً فيما تبقى من نهار ذلك اليوم. فقد عادوا الى تناول الشاي والكعك. وملأت جنان بطنها بأربع عشرة قطعة كعك! ثم قالت: «لم يكونا أفضل نوع من الشرطة، لا ، لم يكونا من نوع الشرطة الذين أفضلهم. كل ما يأتي منهما كلام سخيف كثير عن دار الاطفال، وجداول «الرّضب» ولشبونة.»

في وقت تال رفعت جنان حصانها من مكانه في الشرفة وأنزلته الى

الارض. ثم امتطاه الثلاثة معاً. في البدء، ترددت مها قليلاً من الخوف. ولكن، حين رأت كيف يستمتع جنان ورمزي بالركوب تركت جنان ترفعها الى ظهر الحصان. وأخذ الحصان يعدو بهم حول الحديقة، بينما أخذ رمزي يغنّي «نحن أبطال المعارك. نحن فرسان الوطن! »

عندما اندس رمزي ومها في فراشهما تلك الليلة، قال رمزي: «مها! الا تعتقدين أن انتقال جنان الى حيّنا كان شيئاً رائعاً؟»

قالت مها: «آه، نعم، بالتأكيد! »

قال رمزي: «لم أعد أذكر الألعاب التي كنا نلعبها قبل مجيء جنان. هل تذكرين أنت؟»

قالت مها: حسناً! كنا نلعب لعبة القفز بالأنشوطة، ولعبة التخفّي، وأشياء من هذا القبيل. ولكن أعتقد أن الأمورَ مع جنان أكثر متعةً واثارةً بكثير .. مع الحصان وكل تلك الأشياء!»

جنان تذهب الى المدرسة

بطبيعة الحال كان رمزي ومها يذهبان الى المدرسة. ففي الساعة الثامنة من صباح كل يوم كانا يخرجان، وكل منهما يتأبط حقيبته المدرسية ويمسك بيد الآخر.

أما جنان، فتنشغل في هذا الوقت بالعناية بحصانها، أو بإلباس السيد نعمان. وإلاّ، فإنها تقوم بتمارينها الرياضية الصباحية، وهي التشقلب في الهواء، ثلاثاً واربعين مرة متتالية. بعد ذلك تجلس أمام طاولة المطبخ وتحتسي فنجانا كبيراً من الشاي والحليب، وتتناول شطيرة جبن، في جو من الهدوء والسكينة.

كلما مرَّ رمزي ومها من أمام «بيت يا ليت» في طريقهما الى المدرسة، كانا ينظران اليه بإمعان وبشيء من الأسف. فهما يفضلان كثيراً اللعب مع جنان على الذهاب إلى المدرسة. وكانا يتمنيان لو أن جنان تذهب معهما الى المدرسة ايضاً.

قال رمزي مرة لمها: «تخيلي كم كنا سنقضي وقتاً ممتعاً في طريق عودتنا من المدرسة لو كانت جنان في رفقتنا!»

قالت مها: «نعم .. وكذلك في طريق ذهابنا الى المدرسة.»

وكلما فكر الاثنان في هذا الامر زادا رغبة في أن تذهب جنان الى المدرسة. وأخيراً قررا أن يحاولا اقناعها بذلك.

في عصر أحد الأيام، بعد أن فرغ رمزي ومها من إعداد واجباتهما المدرسية البيتيّة، وخرجا لزيارة جنان، قال لها رمزي بأسلوب مؤثر:

«ما أروع معلمتنا! لا يمكن لك أن تتصوري كم هي لطيفة وطيبة.»

قالت مها: «لو تعرفين كم نقضي وقتاً ممتعاً في المدرسة! انا لا اطيق العيش بدون المدرسة.»

جلست جنان على مسند وأخذت تغسل قدميها في الحوض، دون أن تنبس ببنت شفة. وإن أخذت تحرّك أصابعها في الماء وترشق الماء حول الحوض.

تابع رمزي قائلاً: «لا يحتاج الشخص الى المكوث هناك طويلاً، فنحن نغادر المدرسة في الساعة الثانية بعد الظهر.»

قالت مها: «نعم، وهناك إجازات كثيرة،إجازات الأعياد، وإجازة نصف السنة، وإجازة الصيف الطويلة!»

قضمت جنان اطراف أظفارها وهي تفكّر بعمق، ولكنها لم تقل شيئاً. وفجأة دلقت ماء الحوض كلّه على أرضية المطبخ، وكان السيد نعمان في تلك اللحظة يجلس هناك ويلعب بمرآة، فتبلّل بنطاله بللا تاماً.

صاحت جنان بنبرة شديدة دون ان تلقي بالاً إلى انزعاج السيد نعمان بسبب تبلل بنطاله: «هذا ليس عدلاً .. هذا ليس عدلاً .. إطلاقاً! لن أسكت عن هذا ابداً.»

سأل رمزي: «لن تسكتي! عماذا؟»

قالت جنان: «بعد أربعة شهور يأتي العيد، وعندها ستحصلان أنتما على عطلة العيد المدرسية. وما الذي سأحصل عليه أنا؟ لا شيء. لن أحصل على عطلة المدرسة لأني لست في المدرسة. لن أحصل حتى على حبة صغيرة من العطلة.» قالت ذلك بنبرة حزينة شاكية، ثم تابعت قائلة:

«يجب عمل شيء ازاء هذا، غداً سأذهب الى المدرسة، حتى يكون بامكاني أن أحصل على العطلة المدرسية في العيد مثلكما.»

صفق رمزي ومها بسعادة وصاحا: «رائع! فلتحيا جنان! غداً ننتظرك أمام البوابة في الساعة الثامنة صباحاً.»

قالت جنان: «لا، لا ! لا أستطيع ان أبكّر هكذا، ثم انني سأذهب الى المدرسة راكبة.»

وهذا ما فعلته. ففي تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي حملت جنان حصانها من الشرفة، وما هي حتى شاهدها اهل البلدة من شبابيك بيوتهم تعدو بالحصان في طريقها الى المدرسة.

عبرت بالحصان الى ساحة المدرسة، وهناك قفزت عنه، ثم ربطته بجذع شجرة، ثم اقتحمت غرفة الصف مع ضجّة عاليةٍ جعلت رمزي ومها وبقية التلاميذ يقفزون في مقاعدهم.

صاحت جنان وهي تلوح بقبّعتها الكبيرة: «مرحباً! هل وصلت في الوقت المناسب لتعلم جداول« *الرّضب*»؟»

كان رمزي ومها قد أخبرا المعلمة بأن فتاة اسمها جنان ذات الجورب الطويل ستنضمّ الى المدرسة. وكانت المعلمة قد سمعت بجنان من أهل البلدة الصغيرة. كانت معلمة لطيفة وطيبة جداً، ولذا قررت أن تبذل قصارى جهدها للعناية بجنان حتى تحبَّ المدرسة والدراسة.

رمت جنان نفسها على أحد المقاعد الفارغة قبل أن تأذن لها المعلمة. ولكن المعلمة لم تبال كثيراً بهذا التصرف الغريب، فقد قالت لجنان بأسلوب ودّي: «أهلاً بك في المدرسة يا جنان الصغيرة. آمل ان تقضي هنا وقتاً سعيداً وتتعلمي الكثير الكثير.»

قالت جنان: «نعم وآمل أن أحصل على عطلة العيد. لهذا السبب جئت هنا. هذا هو العدل. والعدل فوق كل شيء.»

قالت المعلمة: «أرجو أولاً ان تخبريني باسمك كاملاً لكي اسجلك رسمياً في وثائق المدرسة.»

قالت حنان: «اسمي جنانوتّا عفريتوتّا طرخون السحنون الخَنْدَريس الفَنْدَريس العَنْتَريس آل الجورب الطويل، بنت طرخون الذي كان سابقاً مرعب البحار وهو الآن ملك جزيرة آكلي لحوم البشر. جنان هو في الحقيقة اسم «الدلع»، لأن والدي وجد ان اسم جنانوتّا يمكن ان يكون صعباً على النطق.»

قالت المعلمة: « آه، فهمت! على اية حال سنناديك جنان. ولكن علينا الآن ان نختبر معلوماتك قليلاً. انت فتاة كبيرة، ولذا أرجح ان لديك الكثير من المعلومات. فلنبدأ بالحساب. اخبريني الآن يا جنان، ما حاصل جمع سبعة وخمسة؟»

اكتسى وجه جنان بملامح الدهشة والانزعاج. ثم قالت: «طيب! اذا كنت انت لا تعرفين الجواب، فلن ادلك انا عليه.»

حملق التلاميذ بجنان وقد أخذتهم الدهشة والرهبة. ثم شرحت المعلمة لجنان أنه لا يجوز لها أن تجيب بهذا الأسلوب في المدرسة، وانه لا يجوز أن تخاطب المعلمة هكذا مستعملة كلمة «أنت»، وانما عليها ان تستعمل كلمة «ست»، احتراماً للمعلمة.

قالت جنان معتذرة: «آسفة. لم أكن اعرف هذا. لن أكرر هذا بعد الآن.»

قالت المعلمة: «هذا ما أرجوه. والآن، سأخبرك أن حاصل جمع

سبعة وخمسة هو اثنا عشر.»

قالت جنان: «هل ترين؟ لقد كنت تعرفين الجواب طوال الوقت. فلماذا اذن تسألين؟ آه .. ما أغباني! نسيت وخاطبتك بدون كلمة «ست». آسفة مرة اخرى.»

قالت هذا وقرصت اذنها بقوة بالغة.

قررت المعلمة أن تتجاهل الموقف، وعادت لتسأل: «والآن يا جنان! كم حاصل جمع ثمانية واربعة؟»

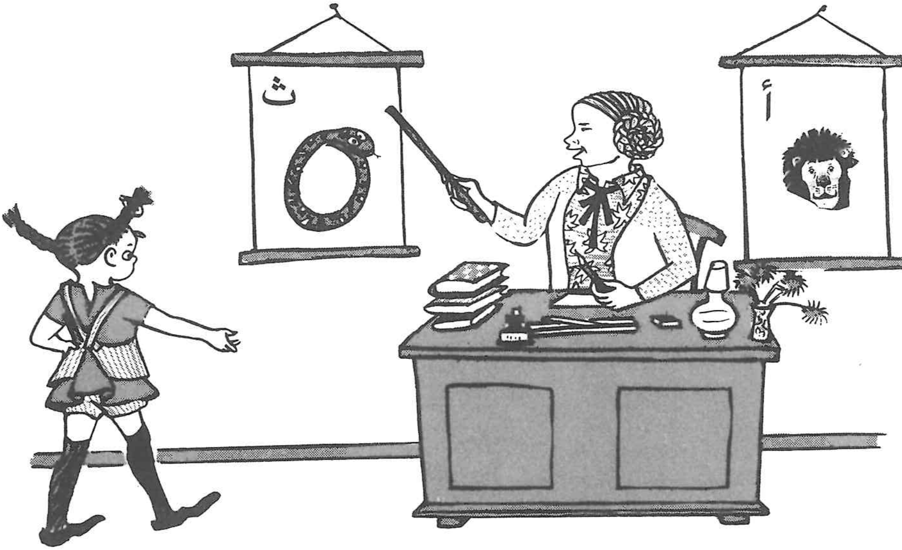
أجابت جنان: «أعتقد ان الجواب هو سبع وستون.»

قالت المعلمة: «خطأ. ثمانية وأربعة تساوي اثنا عشر.»

قالت جنان: «لحظة، لحظة، لحظة! أين ذَهَبْت أيتها المرأة المحترمة! لقد تجاوزت الحد. انت نفسك قلت قبل لحظة ان حاصل جمع سبعة وخمسة هو اثنا عشر. والآن تقولين ان حاصل جمع أربعة وثمانية هو اثنا عشر! ألا ترسين على برّ! يجب أن يكون هناك بعض المنطق حتى في المدرسة. اذا كنت مهتمة كثيرا بهذه الأمور الطفولية، لماذا لا تجلسين وحدك في ركن الغرفة وتقومين بالعد، وتتركينا نحن في سلام وأمان نلعب لعبة «المطاردة» ؟ آآخ! من جديد نسيت أن أخاطبك بكلمة «ست». هل يمكن أن تسامحيني للمرة الأخيرة ؟ سأحاول أن أتذكر منذ الآن.»

وافقت المعلمة على أن تسامحها هذه المرة ايضاً، ولكنها رأت انه ليس من المناسب ان تتابع الآن محاولتها تعليم جنان الحساب. وهكذا انصرفت لسؤال التلاميذ الآخرين بدلاً من ذلك.

اتجهت المعلمة الى رمزي وسألته: «هل لك أن تجيب عن هذا السؤال يا رمزي؟ اذا كان مع عفاف سبع تفاحات، ومع سامي تسع تفاحات، فكم مجموع ما معهما من التفاح؟



قالت جنان متدخلة: «نعم. هيا، أجب عن السؤال يا رمزي! وفي الوقت نفسه أجبني انا عن السؤال التالي: اذا كان لدى عفاف وجع بطن من كل هذا التفاح ، وكان عند سامي وجع بطن اكثر منها، فمن المسؤول عن هذا؟ ومن أين حصلا على التفاح أولاً ؟»

تظاهرت المعلمة بأنها لم تسمع ما قالته جنان، واتجهت الى مها وقالت: «المسألة التالية لك يا مها: خرج سامر مع اصحابه في رحلة مدرسية، وكان معه احد عشر قرشاً لدى خروجه في الرحلة، وعندما عاد كان قد تبقى معه سبعة قروش، فكم قرشاً انفق في اثناء الرحلة؟»

تدخلت جنان من جديد قائلة: «عال! ولكني أريد أن أعرف لماذا كان مسرفاً الى هذا الحد، وهل أنفق قروشه على السكاكر الضارّة؟ وهل نظّف ما وراء اذنيه قبل ان غادر البيت؟»

هنا قررت المعلمة ان تتوقف نهائياً عن موضوع الحساب. وقدّرَت أن جنان يمكن أن تكون اكثر اهتماماً بتعلم القراءة. ولذا أحضرت صورةً لأسد، وفي أعلى الصورة فوق الاسد حرف «أ».

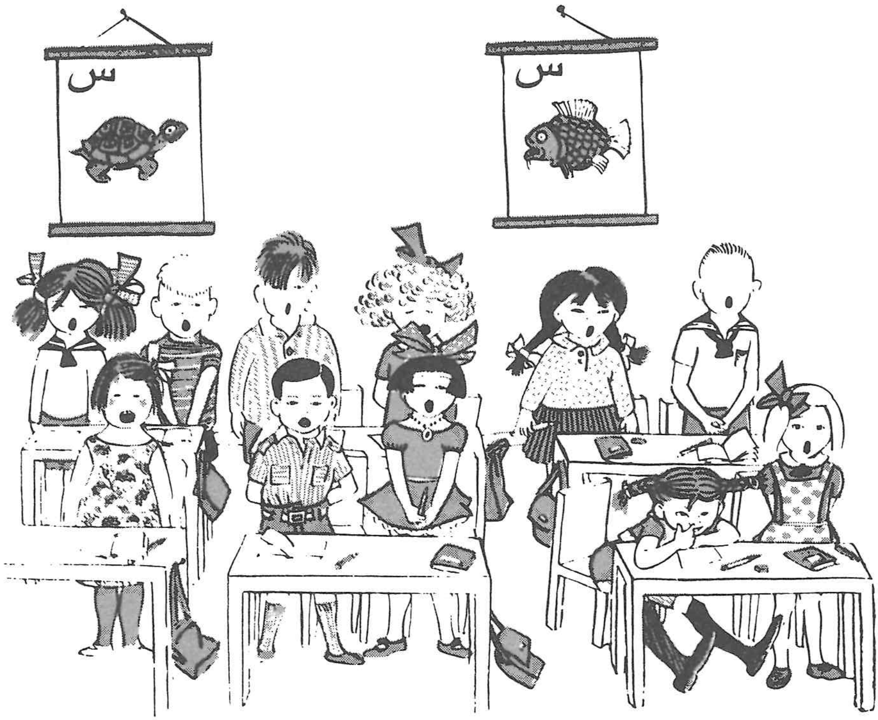
قالت المعلمة: «الآن يا جنان، انظري الى هذه الصورة. إنها صورة اسد. اليس كذلك؟ وترين فوقها حرفاً هو حرف الألف المهموزة.»

أسرعت جنان تقول: «آه، لا أصدّق هذا . لا أصدّق هذا ابداً. يبدو لي هذا الذي سمّيْته حرف الألف مثل عصاً فوقها حشرة. ولكن، ما أحب أن أعرفه حقاً هو: ما هي العلاقة بين الأسد والعصا التي فوقها حشرة!»

أخرجت المعلمة صورة أخرى لثعبان كبير، وأعلى الصورةحرف «ث»، واخبرت جنان أن هذا هو حرف الثاء.

قالت جنان: «بمناسبة الحديث عن الثعابين، لن أنسى ابداً انني صارعت ثعباناً هائلاً في الهند. لا تتصورون ضخامة ذلك الثعبان الرهيب! كان طوله عشرين متراً، وكان هائجاً مجنوناً. وفي كل يوم كان يأكل خمسة هنود كبار، ثم يتناول طفلين باعتبارهم حلوى. وفي احدى المرات هجم علي ليأكلني ولف نفسه حولي، آآه. ولكني قلت «هل تظنّ أن الأمر على مزاجك؟» ولطمته على رأسه: «طاخ!» وهنا اخذ يفحّ ويتوجّع آآآآآآآآآخ، ولطمته لطمة اخرى: «طاخ!» وهنا .. مات! نعم بالتأكيد. اذن هذا هو الحرف «ث». عجيب جداً!»

كان على جنان أن تلتقط أنفاسها بعد هذا الوصف الطويل. أما المعلمة فقد بدأت تعتقد أن جنان فتاة شرسة وصعبة. ولذا قررت أن تجعل التلاميذ يرسمون لبرهة من الوقت. وقدرت المعلمة أن جنان ستجلس بهدوء وترسم كغيرها. ولذا أحضرت ورقاً واقلاماً وقدمتها



للتلاميذ. وقالت: «ارسموا ما شئتم. وجلست على مقعدها وبدأت في تصحيح دفاتر النسخ. بعد دقائق رفعت رأسها ونظرت الى التلاميذ لترى ما يفعلون. وهنا رأتهم جميعاً جالسين ينظرون الى جنان التي كانت مستلقية ترسم على الارض.

قالت المعلمة بنفاد صبر: «ولكن لماذا لا ترسمين على الورق يا جنان؟»

أجابت جنان: «انا معتادة على ذلك منذ وقت طويل. تلك الورقة

الصغيرة السخيفة لا تتسع لصورة كاملة لحصاني. أنا الآن أرسم الساقين الأماميتين، ولكن ما إن أصل الى الذيل حتى أكونَ قد وصلت الى الدهليز خارج الغرفة.»

فكرت المعلمة ملياً للحظة، ثم قالت: «ربما كان من الافضل ان ننشد اغنية صغيرة الآن بدلاً من الرسم.»

وهكذا وقف التلاميذ جميعهم الى جانب مقاعدهم مستعدين، الاّ جنان التي بقيت متمددة على الأرض. وقالت: «هيا غنوا. أما انا فسأرتاح قليلاً. اذ ان كثرة الدراسة تُهدّم الصحة.»

عند هذا الحد، نفد صبر المعلمة، فأمرت التلاميذ أن يخرجوا من الصف الى ساحة المدرسة، لأنها تريد أن تتفاهم مع جنان على انفراد.

عندما انفردت المعلمة بجنان، نهضت جنان فوراً وتقدّمت نحو المعلمة وقالت: «هل تعلمين؟ اعني هل تعلمين يا «ست»؟ لقد كان من الممتع حقاً أنني جئت هنا لأرى الأمور على حقيقتها. ولكن، لا أظن انني سأعود الى المدرسة بعد الآن، سواء أكانت هناك عطلة عيد أم لم تكن. ليس عندكم الاّ كلام كثير عن التفاح والاسد والثعابين وما أشبه. كاد رأسي يتفجر من هذا الكلام. أرجو ان لا تكوني مستاءة ايتها «الست.»

ولكن المعلمة عبرت عن استيائها البالغ لأن جنان لم تحاول التصرف بطريقة لائقة وأكّدت لها ان من يتصرّف بهذا الأسلوب السيء لا يسمح له بالقدوم الى المدرسة حتى لوكان راغباً في ذلك أشدّ الرغبة.

ظهرت الدهشة على وجه جنان، وسألت: «هل تصرّفت تصرّفاً سيئاً؟ ولكني لم ادرك ذلك ابداً.» واكتسى وجهها بالحزن. لا أحد يبدو مثيراً للأسى والشفقة كما تبدو جنان حين ينتابها الحزن. وقفت صامته

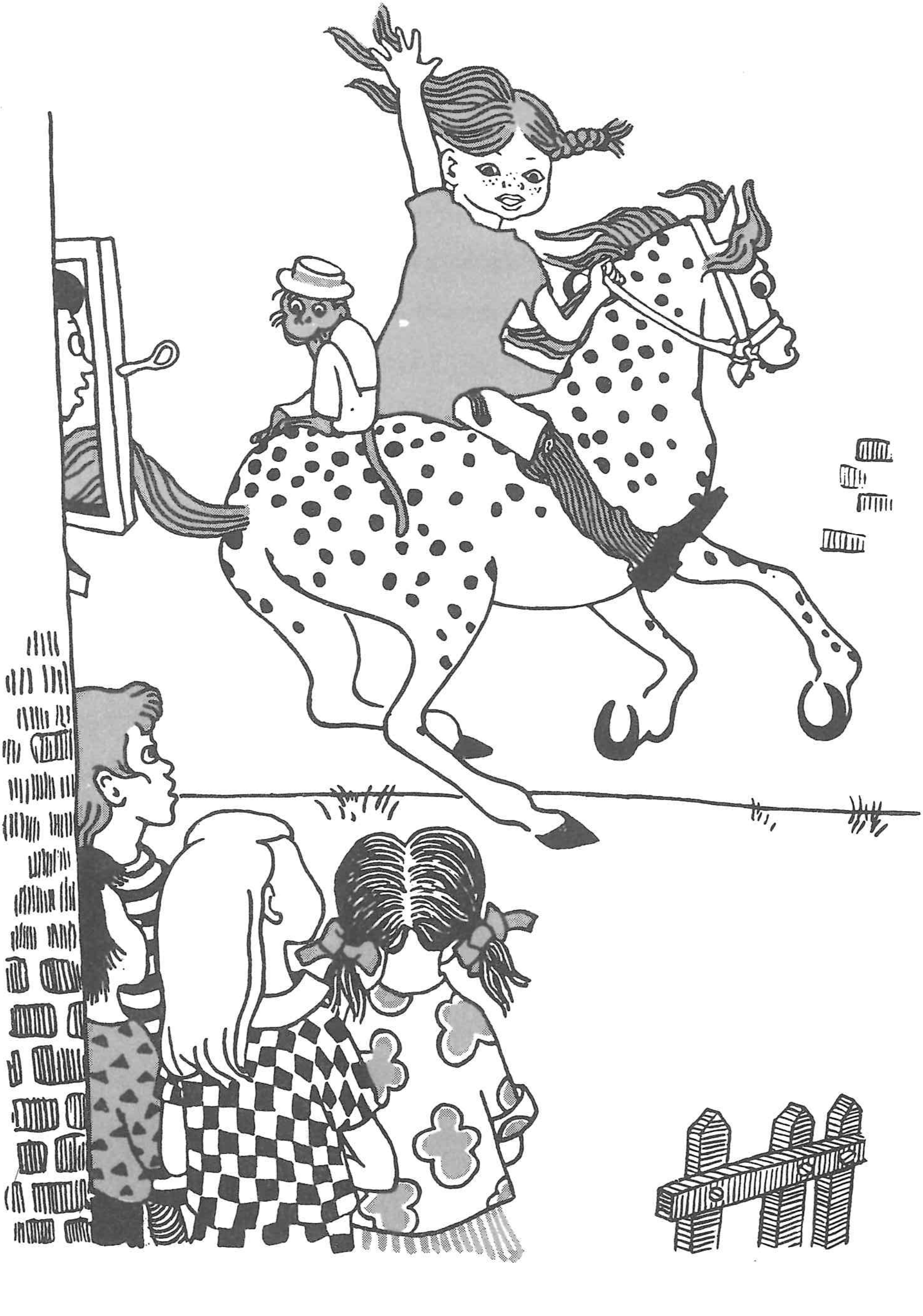
لدقيقة، ثم قالت بصوت مرتجف: « لعلك تتفهمين يا «ست» أن الإنسان الذي تكون أمه ملاكاً ويكون ابوه ملكاً لآكلي لحوم البشر، ويكون قد أمضى عمره مبحراً عبر المحيطات، فان هذا الإنسان يجهل حقاً كيف يجب أن يتصرف في المدرسة مع كل تلك التفاحات والثعابين!»

هنا أبدت المعلمة تفهمها لوضع جنان، وذكرت لها أنها لم تعد مستاءة منها اطلاقاً، وأن بامكانها أن تعود الى المدرسة حين تكبر قليلاً. اشرق وجه جنان بالسعادة وقالت: «اعتقد انك انسانة طيبة جداً يا «ست» وانظري ماذا احضرت لك!»

اخرجت جنان من جيبها إسوارة ذهبية جميلة ووضعتها على الطاولة. ولكن المعلمة أخبرتها أنها لا تستطيع قبول هدية ثمينة من هذا النوع. إلاّ ان جنان قالت: «يجب أن تقبلي هديتي، وإلا اضطررت الى العودة غدا، وهذا سيخلق لك متاعب انت في غنى عنها. لقد جرّبت اليوم!»

ثم انطلقت جنان خارجة الى ساحة المدرسة، وقفزت الى ظهر الحصان، وتجمع الاطفال حولها ليربّتوا على الحصان ويشاهدوها ترحل عن المكان.

نظرت جنان الى الاطفال من مكانها على ظهر الحصان، وقالت بلهجة استعلاء: «انا سعيدة انني جربت مدارس الأرجنتين. يجب أن تذهبوا الى هناك! هناك تبدأ عطلة العيد الكبير بعد ثلاثة ايام فقط من عطلة العيد الصغير. وتبدأ عطلة الصيف مباشرة بعد ثلاثة أيام من انتهاء العيد الصغير. وتستمر عطلة الصيف حتى اليوم الاول من شهر تشرين ثاني. وعندئذ يصبح على التلاميذ ان يَجِدّوا ويكدحوا بعض الوقت الى أن تبدأ عطلة العيد الصغير من جديد في الحادي عشر من



تشرين ثاني. ولكن يمكن احتمال هذه المدة، لأنه على الأقل لا توجد حصص دراسية في الأرجنتين. فالحصص الدراسية ممنوعة منعاً باتاً في الأرجنتين. ولكن يحدث هناك في بعض الأحيان القليلة أن يتسلّل طفل أو آخر ويخفي نفسه في خزانة ليدرس سراً في أحد الكتب. ولكن، الويل له اذا اكتشفت أمه ذلك. لا يوجد عندهم دروس حساب هناك في المدارس اطلاقاً. واذا اكْتُشِف أن أحدَ الأطفال يعرف حاصل سبعة وخمسة فإنه يعاقب بالوقوف في الزاوية طوال النهار. هذا اذا كان مغفلاً الى حد أن يخبر المعلمة بذلك. عندهم حصص قراءة في أيام الاربعاء فقط، ولكن هذا لا يحدث الا اذا توافر بعض الكتب للقراءة. ولكنهم لا يملكون كتباً للقراءة ابداً.»

سألها طفل صغير: «طيب! ماذا يفعلون اذن في المدارس هناك؟»

قالت جنان بلا تردد: «يأكلون الحلوى. اذ يُوصَلُ هناك أنبوب من مصنع الحلوى القريب من المدرسة في الحارة، مباشرة الى غرفة الصف. ويستمر الانبوب في قذف الحلوى داخل الصف طوال اليوم، وبذلك يبقى الاطفال مشغولين بالأكل.»

سألت طفلة صغيرة: «ولكن، ماذا يفعل المعلمون والمعلمات؟»

أجابت جنان: «ينزعون الورق الذي تُلَفُّ به الحلوى ليتناولها الأطفال بلا جهد. ومع ذلك، فإنهم نادراً ما يفعلون هذا بأنفسهم. بل من النادر أن يذهبوا الى المدرسة بأنفسهم، وانما يرسلون إخوانهم نيابة عنهم.»

لوّحت جنان بقبعتها، وصاحت بمرح: «وداعاً ايها الأطفال. لن تروني لمدة طويلة بعد الآن. ولكن تذكّروا دائما كم يوجد مع سامي من التفاح، والا ندمتم على ذلك.»

مع ضحكة رنانة انطلقت جنان على حصانها عبر بوابة المدرسة بقوّة هائلة، جعلت الحصى يتطاير من حول حوافر الحصان، ونوافذَ المدرسة تهتزّ اهتزازاً مسموعاً.

جنان تجلس فوق البوابة وتتسلق إحدى الأشجار

خارج «بيت يا ليت» جلست جنان ورمزي ومها. أما جنان فجلست على أحد عموديْ البوابة، واما مها فجلست على العمود الآخر، وأما رمزي فجلس على حافة البوابة نفسها. كان اليوم دافئاً جميلاً في اواخر شهر آب. كان ثمة شجرة إجاص نامية الى جانب البوابة، وكانت قد مدّت أغصانها بعيداً حتى صار بإمكان الأطفال الثلاثة أن يمدوا أيديهم وهم جالسون ليقطفوا أنضج حبات الأجاص الضّارب الى الحمرة. وهكذا اخذوا يقضمون ويمضغون ثم يقذفون النوى من افواههم الى الطريق.

كان «بيت يا ليت» يقع على الحدّ بين نهاية البلدة وبداية الريف، حيث تنتهي شوارع البلدة العريضة نسبياً لتبدأ الطرق الريفية الضيقة. وقد اعتاد اهل البلدة ان يخرجوا للمشي في الطرق التي تمر حول «بيت يا ليت»، وذلك بسبب جمال الموقع وروعة المناظر المحيطة به.

وبينما كان الأطفال الثلاثة يجلسون هناك ويأكلون الأجاص، أقبلت فتاة من طريق البلدة. وحين رأت الاطفال توقفت وسألت: «هل رأيتم أبي ماراً من هنا؟»

أجابت جنان: «لا أعرف. ما شكل أبيك: هل له عينان زرقاوان؟»

قالت الفتاة: «نعم.»

قالت جنان: «ويرتدي قبعة سوداء وحذاء اسود؟»

قالت الفتاة: «نعم، تماماً!»

قالت جنان بنبرة قاطعة: «لا، لم نَرَ أحداً بهذه الأوصاف.»

ظهرت الخيبة على وجه الفتاة، ومضت دون أن تنبس ببنت شفة.

صاحت جنان بها: «هيه، انت! هل هو أصلع الرأس؟»

قالت الفتاة بضيق شديد: «لا، ابداً.»

قالت جنان: «إنه رجل محظوظ اذن!» وبصقت نواة حبة إجاص من فمها.

تابعت الفتاة مشيها مسرعة، ولكن جنان صاحت على اثرها من جديد «هل له اذنان كبيرتان تصلان الى كتفيه؟»

قالت الفتاة «لا، بالطبع.» ثم التفتت وقد سيطرت عليها الدهشة، وقالت: «هل تعنين أنك شاهدت رجلاً يمشي بأذنين بهذا الحجم!»

قالت جنان: «لم أر في حياتي انساناً يمشي بأذنيه. كل من أعرف يمشون بأقدامهم.»

قالت الفتاة بضجر: «أووف! لم تفهمي سؤالي! اعني هل شاهدت حقاً رجلاً له اذنان بذلك الحجم؟»

قالت جنان: «ابدا! لا أحد له اذنان كبيرتان الى ذلك الحد! لو كان ذلك لكان شيئاً عجيباً لا يعقل. كيف ستبدو اذنان من ذلك النوع؟ لا يمكن أن يكون للأنسان أذنان بتلك الضخامة.» ثم اضافت بعد لحظة من التفكير قائلة: «على الأقل لا يوجد انسان كهذا في هذه البلاد. ولكن الأمر مختلف قليلاً في الصين. رأيت مرة رجلاً صينياً في شنغهاي. كانت اذناه كبيرتان جداً الى حد أنه يستطيع ان يلفهما على جسمه كالمعطف. فعندما يسقط المطر، يلتف بأذنيه، فيشعر بالدفء الى

أبعد الحدود. بالطبع، لم تكن اذناه ترتاحان كثيراً لتصرفاته. ففي الأيام الشديدة البرد والمطر، كان يدعو اصحابه ليخيّموا تحت أذنيه. وهناك يجلسون ويغنون اغاني حزينة، بينما يزخّ المطر في الخارج. كان اصحابه يحبونه كثيراً بسبب أذنيه. كان اسمه هاي شانغ. آه، لوشاهدتموه يوماً يركض الى عمله في الصباح. كان دائماً يصل الى عمله في اللحظة الأخيرة، لأنه كان يحب ان يطيل النوم. ولذا كان يبدو دائماً مسرعاً مهرولاً نحو مكان عمله. آه، لن تتخيلوا مدى طرافة منظره وهو يركض واذناه تطيران خلفه مثل شراعين ذهبيّين.»

وقفت الفتاة تستمع الى جنان وقد فغرت فمها من الدهشة. ومن شدة استغراق رمزي ومها في القصة، نسيا ان يتابعا تناول الإجاص.

تابعت جنان قائلة: « كان له من الاولاد اكثر مما يستطيع عدّه. اما أصغرهم فكان اسمه بيتر.»

قاطعها رمزي قائلاً: « ولكن اهل الصين لا يسمّون أولادهم بيتر!»

قالت جنان: «هذا بالضبط ما قالته له زوجته: بيتر ليس اسماً صينياً. ولكن هاي شانغ كان عنيداً جداً. فقد قال لها انه لن يكون لابنه اسم اخر غير بيتر. إما بيتر وإما لا شيء. ثم جلس في ركن الغرفة، وجذب اذنيه فوق رأسه، وأطلق صيحة مدوية اشبه بعواء الذئب.

وكان لا بد لزوجته ان تستسلم لقراره، وهكذا سمّي الطفل بيتر.»

قالت مها: «حقاً!»

تابعت جنان قائلة: «كان أبغض اطفال شنغهاي، فقد كان يتعب أمّه كثيراً في تناول الطعام. تعرفون بالطبع ان الناس في الصين يأكلون

اعشاش طائر السنونو! وهكذا كانت أمّه تجلس وبيدها صحن مليء بعش السنونو، وتحاول اطعامه، فتقول له: «هيا يا بيتر الصغير. سنأكل الآن عش السنونو من أجل 'البابا'.» ولكن بيتر كان يغلق فمه بشدة ويهز رأسه رافضاً. اخيراً وصل الغضب بالأب هاي شانغ الى حد ان قال: « ممنوع اطلاقاً اعداد اي طعام جديد لبيتر حتى يأكل اولاً عش السنونو من أجل ' البابا'.» وحين كان هاي شانغ يقول شيئاً فانه لا يرجع عنه. قراره قاطع ونهائي. وهكذا، ظلت الأم تحمل عش السنونو من المطبخ كل يوم ثم تعيده دون فائدة. وبقي هذا الحال منذ شهر ايار حتى شهر تشرين اول. في اليوم الرابع عشر من شهر تموز توسلت الأم الى زوجها أن يسمح لها بتقديم قرصي لحم لبيتر بدلاً من عش السنونو. ولكن هاي شانغ رفض بصورة قاطعة.»

قالت الفتاة الواقفة في الطريق: «كلام فارغ!»

تابعت جنان قائلة: «نعم، هذا بالضبط ما قاله هاي شانغ: كلام فارغ. من الواضح أن الطفل يستطيع اكل عش السنونو لو توقف عن عناده. ولكن بيتر ظل يغلق فمه بقوة من شهر ايار حتى شهر اكتوبر.»

سأل رمزي مستغرباً: «ولكن، كيف يمكن له ان يعيش هذه المدة الطويلة بلا طعام؟» أجابت جنان: «لم يستطع العيش بالطبع. لقد مات من حالة شديدة من مرض «قساوة الرأس العناديّة المزمنة.» مات في الثامن عشر من شهر تشرين ثاني. ودفن في التاسع عشر منه. وفي العشرين من ذلك الشهر دخل طائر سنونو من نافذة البيت ووضع بيضة في العش الذي كان موضوعاً على الطاولة. وهكذا لم يذهب العش سدى في نهاية الأمر. ولم يقع أي ضرر.»

قالت جنان عبارتها الأخيرة بمرح. ثم تمعّنت في وجه الفتاة الذي

كـان ينم عن حـيـرة بالغـة، وقـالت لـهـا: «لماذا تنظرين اليّ هكذا؟ هل تعـتـقـدين حـقاً انني أجلس هنا وأمـارس الكذب؟» شـمـرت جنان على سـاعـديهـا وتابعت بلهـجـة تنطوي على التـهـديد: «هيـا أخـبـريني! هل تعتقدين انني اكذب.»

قـالت الفتـاة بخـوف واضـح: «لا، ابداً، لا. لم اعن ابداً انك تكذبين. انما....»

قـاطعتـهـا جنان قـائلة: «لا؟ ولكن هذا بالضـبط مـا كنت أفـعله. لقد كذبت حتى اسْودّ لساني من شدة الكذب. هل تعتقدين حقاً ان هناك طفلاً يستطيع العيش بلا طعام من شهر مايو الى شـهر تشرين ثاني؟ أعرف أن الناس يستطيعون العيش بلا طعام لمدة ثلاثة اشهر او اربعة اشـهـر، أما ان يتـحـملوا العـيش بلا طعـام من شـهـر مـايو الى تشـرين ثاني، فمن السخف والبله ان نصدّق ذلك. كان يجب ان تعرفي ان هذا كذب محض. يجب ألا تسمحي للناس بأن يخدعوك هكذا.»

عندئذ استدارت الفتاة ومضت دون ان تلتفت.

قـالت جنان لرمزي ومـهـا: «هه! مـا أبله النـاس! يصـدقـون اي شيء! هه! من شـهر ايار الى شـهر تشرين ثاني! يا للسخـف والبله!»

ثم صـاحت من جديد في إثر الفتاة: «لا، لم نر والدك. لم نرَ شـخـصـاً واحـداً أصـلع طوال النـهـار. ولكن، رأيت في البـارحـة سـبـعـة عـشـر شخصاً أصلعَ يمرون من هنا وقد أمسك بعضهم بأيدي بعض.»

كـانت حـديقـة جنان رائعـة فـعـلاً. لا يمكن القـول أنهـا تتلقى عناية كافية، ولكن كان هناك مسطحات بديعة من العشب الذي لم يقص ابداً، اضـافة الى الكثـير من أشجـار الورد الصـفـراء والبيضـاء والزهرية. آه،

كم كانت رائحتها ذكية وعذبة! وكان ثمة الكثير من الأشجار المثمرة ايضاً. وأهم من ذلك كله عدد من أشجار البلوط والدردار القديمة، التي تصلح كثيراً للتسلق.

أما الأشجار في حديقة رمزي ومها فلم تكن تصلح للتسلق، كما ان أمهما كانت تمنعهما من التسلق خشية أن يقعا ويصابا بالأذى. أما الآن، فقد قالت جنان: « ما رأيكما ان نتسلق شجرة البلوط الكبيرة؟»

قفز رمزي فوراً من البوابة مبتهجاً بالاقتراح. أما مها فبدت متردّدة بعض الشيء. ولكن، حين رأت ان جذع الشجرة مليء بالعقد الناتئة التي تساعد على التسلق، غيرت رأيها ورأت ان الأمر سيكون ممتعاً فعلاً.

على ارتفاع محدود من الأرض، كانت شجرة البلوط تتشعب في شعبتين كبيرتين، وبينهما كان ثمة مكان كأنه غرفة صغيرة. وما هي حتى كان الأطفال الثلاثة يجلسون هناك. وفوق رؤوسهم كانت أغصان الشجرة تكوّن تاجاً ظليلاً أشبه ما يكون بسقف اخضر كبير.

قالت جنان: « نستطيع تناول القهوة بالحليب هنا. سأقفز وأعدها بسرعة. »

لم تمض دقائق قليلة حتى كانت جنان قد أعدّت القهوة. وكانت قد صنعت بعض الكعك في اليوم السابق. وهكذا عادت ووقفت تحت شجرة البلوط، وبدأت تقذف فناجين القهوة الفارغة الى الأعلى. واستطاع رمزي ومها التقاطها في بعض الأحيان.

كانت شجرة البلوط هي التي التقطتها، وانكسر اثنان منها، ولكن جنان ركضت واحضرت غيرهما بدلاً منهما. ثم جاء دور الكعك. ولمدة

من الوقت امتلأ الهواء بالكعك الطائر، ولكنه على الأقل لم ينكسر. واخيراً تسلقت جنان وهي تحمل ابريق القهوة باحدى يديها، وكانت قد وضعت زجاجة الحليب في جيبها، اضافة الى علبة صغيرة من السكر.

احتسى رمزي ومها القهوة بتلذذ عجيب، واكّدا أنهما لم يذوقا قهوة بهذا الطعم اللذيذ في حياتهما. اذ لم يكن يسمح لهما بتناول القهوة كل يوم - فقط في الحفلات. وهما الآن في حفلة! أراقت مها قطرات من القهوة على ثوبها. في باديء الأمر احست بالحرارة والرطوبة، ثم تحول ذلك الى البرودة والرطوبة. ولكنها لم تلق بالاً لذلك كله.

عندما فرغوا من احتساء القهوة رمت جنان الفناجين الى الارض المعشبة في الاسفل، وقالت: «اريد أن أرى مستوى نوعية هذه الفناجين.» والغريب ان فنجاناً وثلاثة صحون بقيت سليمة. اما إبريق القهوة فلم ينكسر منه غير فمه البارز.

والآن قررت جنان أن تتابع التسلق الى الأعلى قليلاً. بعد لحظات صاحت فجأة : «آه، لم أرَ شيئاً كهذا من قبل! الشجرة مجوفة!»

حقاً ، كان هناك فتحة واسعة في جذع الشجرة، وكانت الأغصان تخفيها عن أعينهم.

قال رمزي: «هل أستطيع التسلق لأرى بنفسي؟» ولكن حين لم يأت أي جواب، صاح رمزي متخوّفاً: «جنان! أين أنت؟»

ثم سمعا صوت جنان. لم يأت من الأعلى كما هو متوقع، ولكنه جاء من الأسفل البعيد. بدا الصوت وكأنه يأتي من تحت الأرض.

«أنا في جوف الشجرة. انها مجوّفة من الأعلى إلى الأسفل حتى الأرض. اذا اختلستُ النظر من خلال شقّ صغير، فإن بوسعي ان أرى



ابريق القهوة ملقى على العشب في الخارج.»

صاحت مها: «ولكن، كيف يمكن لك الصعود والخروج؟»

قالت جنان: «لن يكون بامكاني الخروج من هنا ابداً، سأمكث هنا حتى سن التقاعد. وسيكون عليكما ان تسقطا لي طعامي عبر تلك الفتحة خمس مرات او ست مرات في اليوم.»

هنا بدأت مها بالبكاء.

قالت جنان: «لماذا الحزن والأسف؟ لماذا الشكوى؟ تعالا هنا عندي، وعندئذ نمثل دور اشخاص يعانون ويتألمون في سجن القلعة.. أعني على سبيل اللعب.»

قالت مها: «لا يمكن ان افعل هذا أبداً.» ولكي تطمئن تماماً على سلامتها نزلت من على الشجرة إلى الأرض.

صاحت جنان: «مها! انني اراك عبر الشقّ الصغير. لا تدوسي على ابريق القهوة. انه ابريق طيب حسن الاخلاق والتربية، ولم يؤذ أحداً اطلاقاً. وليس ذنبه انه فقد فمه البارز.»

اقتربت مها من جذع الشجرة، واستطاعت ان ترى من الشق الصغيرة رأس اصبع جنان. وقد هَدّأ هذا من روعها كثيراً، إلاّ أنها لم تتخلص من قلقها تماماً.

سألت مها: «جنان! الا تستطيعين الصعود والخروج حقاً؟»

هنا اختفى اصبع جنان، وفي لحظة خاطفة برز وجهها من الفتحة الموجودة أعلى الشجرة.

قالت جنان: «لعلي استطيع ذلك اذا حاولت جهدي.»

قال رمزي الذي كان ما يزال في مكانه على الشجرة: «اذا كان

الخروج من جوف الشجرة سهلاً الى هذا الحد، فاني احب ان انزل فيها مثلك يا جنان!»

قالت جنان: «انتظر! اعتقد اننا نحتاج الى سلّم.»

سحبت جنان نفسها خارج الفتحة الواسعة، ونزلت بسرعة عن الشجرة، ثم ركضت واحضرت سلّماً ورفعته أعلى الشجرة، ثم انزلته في جوف الشجرة عبر الفتحة.

كان رمزي متحمّساً للنزول في جوف الشجرة. وكان من الصعب التسلق نحو الفتحة لأنها كانت في مكان مرتفع جداً من جذع الشجرة. ولكن رمزي كان شجاعاً حقاً، فلم يتردد في التسلّق نحو الفتحة، ثم الدخول بها والنزول في جوف الشجرة المظلم. راقَبَتْه مها وهو يختفي، وتساءَلَتْ في نفسها عماً اذا كانت ستراه بعد الآن. ثم دقّقت النظر عبر الشقّ الصغير في أسفل الجذع المجوّف.

تناهى اليها صوت رمزي يقول: «ليس بإمكانك أن تتصوري روعة المكان هنا يا مها. يجب أن تنزلي انت ايضاً، ليس هناك أدنى خطورة مع وجود السلّم. اذا جرّبت هذا مرة واحدة، فلن ترغبي في عمل شيء آخر.»

قالت مها: «انت متأكد؟»

قال رمزي: «متأكد تأكداً تاماً. »

بساقين مرتجفتين تسلقت مها الشجرة من جديد، وساعدتها جنان في المرحلة الصعبة الأخيرة. تراجعت مها قليلاً حين اطلّت عبر الفتحة الى داخل التجويف ورأت العتمه المطبقة، ولكن جنان امسكت بيدها وأخذت تشجّعها.

سمعت مها صوت رمزي يقول: «لا تخافي يا مها. ها أنذا الآن أرى

ساقيك تتدليان، وبامكاني مؤكداً أن أمسك بك اذا وقعت.»

ولكن مها لم تقع، فقد وصلت الى رمزي بأمان، وما لبثت جنان ان لحقت بهما هناك.

قال رمزي: «أليس هذا شيئاً عظيماً!»

أقرت مها بذلك. ولم تعد ترى المكان مظلماً كما كانت تعتقد، لأن الضوء كان يتسرب من الشق الموجود أدنى الجذع. نظرت مها من خلال الشق واعلنت ان بامكانها هي ايضاً ان ترى ابريق القهوة.

قال رمزي: «سنجعل من هذا مكاننا السري من الآن فصاعداً . لن يعرف أحدٌ أننا هنا. واذا جاء البعض يفتشون عنا فاننا نستطيع ان نراهم عبر الشق دون ان يرونا، وعندئذ نضحك عليهم.»

قالت جنان: «بل سيكون باستطاعتنا ان نخرج عوداً صغيراً عبر الشق وندغدغهم به. وعندئذ سيحسبون ان المكان مسكون بالعفاريت.»

سر الاطفال بهذه الفكرة سروراً بالغاً، واحتضن كل منهم الآخر. ثم سمعوا صوت الجرس الخاص قادماً من بيت رمزي ومها، مما يعني ان وقت العشاء قد حان هناك.

قال رمزي بأسف: «آه، خسارة! علينا الآن أن نعود إلى البيت، ولكننا سنأتي غداً فور عودتنا من المدرسة.»

قالت جنان «سأنتظركما.»

وهكذا صعدوا على السلّم: جنان أولاً، ثم مها، ثم رمزي اخيراً. ثم هبطوا عن الشجرة: جنان أولاً ، ثم مها، ثم رمزي اخيراً.

جنان تنظم نزهة في البرية

قال رمزي لجنان: «لم نذهب اليوم الى المدرسة،إذ تعطل المدارس اليومَ من أجل العمل في تنظيفها.»

قالت جنان: «عطلة تنظيف! يعجبني هذا! ولكن، انظرا الظلم من جديد. فأنا لا أحصل على عطلة تنظيف، مع أن بيتي يحتاج الى شيء من التنظيف. انظرا الى ارضية المطبخ!» ثم اضافت «ولكن، خطر لي الآن انني استطيع التنظيف بلا عطلة. وهذا ما أنوي ان افعله، بعطلة تنظيف او بلا عطلة! وويل لمن يحاول ايقافي. اما انتما فاجلسا على طاولة المطبخ، وأفسحا لي الطريق.»

أطاع رمزي ومها أوامر جنان، وتسلقا الطاولة وجلسا عليها، كما قفز السيد نعمان وراءهما ونام في حضن مها.

قامت جنان بتسخين وعاء من الماء، ثم دلقته بلا تردد على أرض المطبخ. خلعت حذاءها ووضعته بعناية في طبق الخبز الفارغ، ثم ربطت فرشاتين للشطف والكشط بقدميها العاريتين، وأخذت تتزلج على الأرضية عبر الماء الذي صار يتطاير في كل اتجاه.

«كان يجب أن اكون بطلة مشهورة من أبطال التزلج.» قالت ذلك في الوقت الذي رفست برجلها نحو الأعلى حتى طارت فرشاة التنظيف من قدمها، فأصابت مصباح السقف وكسرت جزءاً منه.

تابعت جنان قائلة: «لا شك أنني أمتلك الرشاقة والجاذبية المطلوبة.» وهنا قفزت برشاقة في الهواء فوق كرسي كان يعترض طريقها.

وأخيراً، قالت وهي تنزع الفِرشاتين عن قدميها: «أعتقد ان الأرض صارت نظيفة الآن.»

سألت مها: «ألن تجففي الأرضية؟»

أجابت جنان: «لا، ابداً. يمكن أن تجف بحرارة الشمس، ولا أعتقد انها ستصاب بالرشح طالما هي تحافظ على دورانها وحركتها.»

نزل رمزي ومها عن الطاولة، وأخذا ينقلان خطواتهما على الارض المبلولة بعناية وحذر، خشية أن يصيبهما البلل.

في الخارج كانت الشمس ترسل شعاعها في سماء زرقاء صافية. لقد كان ذلك اليوم أحد أيام أيلول الرائعة الذهبية التي يشعر معها الانسان بالرغبة في الذهاب الى الغابات. وخطرت فكرة لجنان.

قالت: «لماذا لا نأخذ السيد نعمان معنا ونخرج في نزهة؟ »

صاح رمزي ومها: « آه، عظيم، نعم، فلنخرج! »

قالت جنان: «إذن اركُضا الى بيتكما واستَأذِنا امّكما. وفي هذه الأثناء، أعِدّ أنا سلّة الطعام.»

رأى رمزي ومها في هذا اقتراحاً جيداً. وهكذا أسرعا إلى البيت، وما هي حتى كانا عائِدَيْن في مثل لمح البصر، فوجدا جنان تنتظرهما لدى البوابة، وقد جلس السيد نعمان على كتفها، وكانت تمسك عصاً باحدى يديها، وتحمل السلة بالأخرى.

في بادي الأمر مشى الاطفال الثلاثة في طريق ريفي لبعض الوقت، ثم وصلوا الى حقل بديع يشقه طريق ضيق من النوع الخاصّ بالمشي فقط. كان الطريق الضيق يتعرّج ويلتوي بين أشجار البندق والكستناء. بعد وقت من المشي وصل الثلاثة الى بوابة تفضي الى حقل أبدع من

السابق.

ولكن، كان ثمة بقرة تعترض البوابة، ولم يبدُ عليها أنها تنوي التحوّل عن مكانها. صاحت بها مها، ولكن بلا جدوى . ثم أظهر رمزي شجاعة خاصة وتقدّم نحو البقرة وحاول دفعها بعيداً. ولكن البقرة لم تتحرّك قيد أنمله، وانما طفقت تحدق في الأطفال بعينيها البقريتين الواسعتين. ولِوَضْع حد لهذا العناء، وضعت جنان سلّتها على الأرض، وتقدمت نحو البقرة، ورفعتها من مكانها ووضعتها بعيداً. فأدبرت البقرة مبتعدة بين الأشجار وقد أخذتها الحيرة.

قالت جنان وهي تقفز فوق البوابة: «هل تصورتما أن البقر عنيد الى هذا الحدّ؟!»

قالت مها وهي تتسلق كومة من الحجارة والصخور: « ما أروعها من غابة!» كان رمزي قد أحضر معه خنجراً أهدته اياه جنان. فاستعمله في قطع عصاتين: واحدة له والأخرى لها. جرح اصبعه قليلاً، إلاّ انه لم يبال بذلك.

قالت جنان: «دعونا نلتقط بعض الفطْر.» وانتزعت من الارض واحدة جميلة وردية اللون. نظرت اليها وقالت: «لا أدري اذا كانت صالحة للأكل! ولكني أعرف مؤكداً انها ليست للشرب. هذا شيء أعرفه جيداً. فاذا كانت لا تُشْرب، فلا يبقى اذن إلا أنّها تُؤْكل. ربما كان هذا ممكناً»

قَضَمَت منها قضمة كبيرة وابْتَلَعَتْها، ثم أعلنت بصوت مفعم بالحيوية والبهجة: «هيه، نعم من الممكن أكلها. يجب أن تطبخ بقيتها في وقت ما.» قالت هذا وقذفت القطعة المتبقية الى ذروة إحدى

الاشجار.

سألت مها: «ماذا أحضرت في سلتك يا جنان! شيء طيب؟»

قالت جنان: «لن أخبرك حتى لو أعطيتني كل الشاي الموجود في الصين. قبل كل شيء، يجب أن نجد مكاناً مناسباً للجلوس.»

وهكذا بدأ الاطفال الثلاثة يبحثون عن مكان مناسب. وجدت مها صخرة كبيرة مسطحة قَدّرَتْ أنها كافية ومناسبة للغرض، ولكنها كانت مُغَطّاةً بالنمل الأحمر. قالت جنان: «لا اريد الجلوس مع النمل،إذ ليس بيننا سابق معرفة.»

قال رمزي: «والى جانب ذلك، فإنها تعضّ.»

قالت جنان: «حقاً! ولكن، اذا عضتك فعضها!»

ثم وجد رمزي بقعة ممهدة بين أشجار البندق، وقَدّرَ أن هذا سيكون مكاناً مناسباً. ولكن جنان قالت: «لا،لا،لا يسقط هنا ما يكفي من أشعة الشمس لتقوية النمش الموجود على وجهي. وانا اعتقد حقا ان النمش شيء جميل ولطيف!»

تابع الثلاثة البحث حتى وصلوا الى تلة صخرية يسهل تسلقها. وعلى الجانب الآخر من التلة كان ثمة صخرة منبسطة مشمسة تشبه شرفة صغيرة. وهناك جلس الأطفال.

قالت جنان: « والآن أغْمِضا عيونكما الى أن أمُدّ المائدة.» وهكذا فعل رمزي ومها. وأخذا يَنصتان الى جنان تفتح السلة وتفضّ ورق اللّفّ.

قالت جنان: «واحد، اثنان، تسعة عشر ـ افتحا عيونكما الآن!»

نظر رمزي ومها، وشهقا فرحاً حين شاهدا كل الاطعمة اللذيذة التي

صَفّتْها جنان على الصخرة العارية. كان هناك شطائر محشوة بأقراص اللحم، وكومة من الفطائر المرشوشة بالسكر الناعم، وبعض النقانق المحمرة، وثلاث قطع من كعكة الأناناس. وكل هذه كانت من صنع جنان، اذ إنها تعلمت الطبخ وصنع الحلوى من «الطبّاخ» الذي كان يعمل في سفينة والدها.

قال رمزي وفمه مليء بالفطائر: «أليست عطل التنظيف رائعة؟ يجب ان تتكرر في كل يوم» .

قالت جنان: «لا مؤكدا انا لست حريصة جداً على الكشط والتنظيف. ربما كانت عملية ممتعة، ولكن، كل يوم؟ لا ، ارجوك!

ذلك امر مرهق جدا».

ملأ الاطفال بطونهم بالطعام، حتى اصابهم الخمول الشديد، فجلسوا ساكنين تحت اشعة الشمس.

ثم قالت جنان: «لا ادري اذا كان من الصعب ان يطير الانسان؟» ونظرت من حافة الصخرة نظرة ساهمة حالمة. كانت الصخرة تنحدر انحداراً شديداً اسفل منهم، وكان بين حافتها والارض مسافة كبيرة.

تابعت جنان قائلة: «لعل من الممكن ان يطير الانسان من هنا الى الاسفل.لابد ان الطيران من الاسفل الى اعلى اصعب بكثير. ومع ذلك يستطيع الانسان ان يبدأ بالطريقة الاسهل. أعتقد أنني سأحاول صاح بها رمزي ومها :«لا يا جنان! لا، لا تفعلي ذلك!»

ولكنّ جنان وقفت على حافة الصخرة واخذت تقول: «طيري ياطيارة طيري ! طيري ياطيارة طيري! .. هيه.. طارت الطيارة! وما ان قالت عبارتها الاخيرة حتى رفعت ذراعيها وطارت في الهواء. وفي اقل من

الثانية سمع صوت ارتطامةٍ في الاسفل. ولم يكن ذلك غير ارتطام جنان بالارض. تمدد رمزي ومها على بطنيهما، وأطلا من حافة الصخرة ليريا ماحدث وقد اصابهما خوف شديد. نهضت جنان واخذت تنفض ركبتيها، وقالت بعفوية: «نسيت ان ارفرف. ثم إنني حشوت بطني بالكثير من الفطائر».

في تلك اللحظة اكتشف الاطفال ان السيد نعمان قد اختفى .كان من الواضح انه خرج يتنزه وحده . تذكر الجميع انهم رأوه اخر مرة يقطع سلّة الطعام بأسنانه قطعاً صغيرة. ولكن، حين قامت جنان بتجربة الطيران نسوه تماما. وها هو الآن قد اختفى.

غضبت جنان غضبا شديدا، وقذفت فردة من حذائها في بركة ماء عميقة وكبيرة.

قالت جنان: «يجب الاّ يصحب الانسان قرده معه حين يخرج .كان يجب ان يبقى في البيت ليعتني بالحصان. ذلك ما يستحقه». وغاصت في البركة لتنتشل فردة الحذاء فبلغ الماء وسطها.

تابعت جنان قائلة: «يجب أن يتذكر الانسان ان يبلل شعره ايضا.» وهنا غطست برأسها تحت الماء، واستمرت كذلك حتى بدأت تظهر فقاقيع هواء على سطح الماء.

عندما برزت جنان من الماء اخيراً تابعت قائلةً:«لقد وفرت على نفسي زيارة مُزَيِّنة الشعر هذه المرة». وخرجت من البركة ،وارتدت فردة الحذاء، ثم مضى الثلاثة للبحث عن السيد نعمان.

في اثناء المشي، صار ثوب جنان وحذاؤها يصدران اصواتاً مسموعةً لانهما كانا مشبعين بالماء، فيلتصقان بالجسم والقدمين

وينكمشان ويحتكّان اثناء المشي.

قالت جنان ضاحكة:«هل تسمعان اصوات ثوبي وحذائي؟ اما ثوبي فيقول:«كلافس»، كلافس»، وأما حذائي فيقول«سكويش، سكويش !. اليس هذا طريفا؟»

ثم قالت لمها التي كانت تمشي الى جانبها بشعرها الذهبي المرتب وفستانها الزهري الانيق، وحذائها الرياضي الابيض:« أعتقد ان عليك ان تجربي ذلك.»

قالت مها بتعقل: «ربما في وقت اخر.»

وتابعوا السير.

قالت جنان: «احيانا، يثير السيد نعمان غضبي حقا انه يفعل هذا دائما. لقد افلت مني يوما في بانكوك، وعمل هناك خادما لاحدى السيدات الأرامل.

ثم استدركت قائلة بعد لحظة صمت:«هذه كذبة بالطبع!»

اقترح رمزي ان يفترق الثلاثة ويذهب كل منهم في اتجاه للبحث عن السيد نعمان. اظهرت مها بعض التخوف أول الامر، ولكن رمزي قال لها:«لست جبانه! أليس كذلك؟

بالطبع، لا تحب مها ان تلصق بها هذه التهمة، فوافقت. وهكذا ذهب كل منهم في اتجاه مختلف عن الاخر.

عبر رمزي أحد المروج الخضراء .لم يجد السيد النعمان هناك، ولكنه وجد شيئا آخر على كل حال: ثور! أو الأصح القول إن الثور قد وجده ولم يرق رمزي للثور. وذلك انه كان ثورا عصبيا سريع الغضب، ولم يكن يحب الاطفال اطلاقاً. أطلق الثور خوارا مرعبا وخفض

رأسه ثم اندفع الى الامام نحو رمزي. أطلق رمزي صرخة رعب هائلة كان يمكن سماعها عبر ارجاء الغابة. وقد سمعتها جنان ومها، فاقبلتا تركضان لمعرفة السبب الذي جعل رمزي يطلق تلك الصيحة . وما إن وصلتا حتى شاهدتا الثور يرفع رمزي بقرنيه ثم يقذفه عاليا في الهواء.

قالت جنان لمها التي كانت تبكي خوفا على اخيها:«يا له من ثور شرس سيّء الخلق! هذا تصرف غير مقبول اطلاقا . لماذا يوسخ قميص رمزي الابيض؟ سأذْهب وأعلّم ذلك الثور الغبي بعض المنطق.»

وهذا ما فَعلَتْه. فقد رَكَضتْ نحو الثور وشدّت ذنبه وقالت: عذرا للمقاطعة! استدار الثور اليها فرأى طفلة جديدة تصلح كذلك للنطح.

تابعت جنان قائلة للثور:«كما قلت: اعذرني للمقاطعة واعذرني ايضا لقطع هذا ! واذ قالت الكلمات الاخيرة كَسَرتْ احد قَرْنَيْ الثور وانْتَزعَتْه من مكانه، وتابعت القول:«موضة القرنين لم تعد شائعة في هذه السنة. جميع الثيران المحترمة في هذه السنة تحتفظ بقرن واحد، بل المفضل ان تمشي بلا قرون اطلاقا.» وكسرت القرن الثاني وانتزعته من مكانه.

ولما كانت قرون الثيران بلا اعصاب، فان الثيران لا تشعر بما يحدث لقرونها .ولذا فأن هذا الثور لم يدرك انه صار بلا قرنين وظل مصرا على نطحها ،فأخذ ينطحها برأسه بشدة وعنف. ولو كان غيرَ جنان من تلقى كل ذلك النطح لصار كالعجين. ولكنّ جنان ليست ككل الاطفال، فهي ذات قوة خارقة.

ضجت جنان بالضحك وصاحت بالثور«هاهاهاها»لاتدغدغني هكذا. لاتتصور كم أتأثر بالدغدغه.هاهاها، توقف ،توقف،! هاهاها! توقف

عن الدغدغة، اكاد اموت من الضحك.

ولكن الثور لم يتوقف. واخيرا قفزت جنان على ظهره، لترتاح قليلا من دغدغته. ومع ذلك لم يكن ظهر الثور مكانا هادئا بالتأكيد. ذلك ان الثور لم يعجبه ان يحمل جنان على ظهره فأخذ يقفز ويستدير وينحرف ويتلوى وينحني بقوة عارمة لكي يسقطها عن ظهره. ولكنها بقيت متشبثة به وقد شدت ساقيها حوله شدا قويا. واخذ الثور يندفع الى الامام والى الخلف عبر المرج، ويخور خوارا شديدا حتى بدأ ينفث الدخان من منخريه. ضحكت جنان بصوت مرتفع، وصاحت ولوحت لرمزي ومها اللذين كانا يقفان على بعد وهما يرتعشان خوفا كورق الحور الرجراج . وتابع الثور محالاته لايقاع جنان فاخذ يفتل بجسمه ويدور بحركة عنيفة مرة اثر مرة.

صاحت جنان وهي ما تزال ثابتة في مكانها: انظرا اليّ كيف ارقص مع صديقي الصغير واخيرا استنفد الثور قوته كلها، فبرك على الارض يلهث بشدة. وتمنى لو كان العالم خاليا من الاطفال .

سألت جنان الثور بأدب جم:«هل قررت ان تقيل قيلولة العصر الآن؟ اذن لن ازعجك وهكذا نزلت عن ظهره ومضت نحو رمزي ومها. كان رمزي قد بكى قليلا لان ذراعه اصيبَتْ ببعض الخدوش، ولكن جنان لفت منديلا حول الخدوش، فلم تعد بعد تؤلمه.

حين رجعت جنان الى رمزي ومها، صاحت مها بصوت متأثر: «آه، جنان!»

همست جنان:«اش ش ش! لا توقظي الثور! انه نائم. سيغضب اذا أيقظناه.

في اللحظة التاليه مباشرةً صاحت جنان بصوت مردد دون أن تأبه

بالثور النائم: «سيد نعمان ! سيد نعمان! اين انت! يجب ان تعود الى البيت.»

هل تصدقون!؟ كان السيد نعمان هناك جالسا على فرع احدى اشجار الصنوبر يمضغ ذنبه وحيدا ولم يكن سعيدا اطلاقا بتركه وحده في البرية. قفز الى الارض فورا ، ومنها الى كتف جنان، ولوح بقبعته الصغيرة المصنوعة من القش، كما يفعل دائما حين يكون سعيدا.

قالت جنان: «عظيم! اذن لم تذهب لتعمل خادما هذه المرة!» ربّتت على ظهره وتابعت قائلة: «آه، تلك كانت كذبة اخرى حقيقية. ولكن، اذا كانت حقيقية، فكيف يمكن ان تكون كذبا؟ اعني الحقيقة عكس الكذب.

ام م م م. اذن، ربما كان بالفعل قد عمل خادما في بانكوك! من يدري! واذا كان الامر كذلك فأني اعرف من سيعد لنا طعام الغداء من الان فصاعدا ! »

وهكذا مشوا جميعا عائدين الى البيت. كان ثوب جنان وحذاؤها ما يزالان مُشْبَعَيْن بالماء. وبقي حذاؤها بصورة خاصة يصدر تلك الاصوات الخاصة «سكويش، سكويش» ورأى رمزي ومها انهما قد امضيا بالفعل يوما ممتعا، الا ما كان من الثور. واخذا يغنيان اغنية تعلماها في المدرسة. كانت اغنية عن الصيف، على الرغم من ان فصل الخريف كان على الاعقاب في ذلك الوقت. ولكنهما لم يأبها بذلك وتابعا الغناء على كل حال.

في ايام الصيف الذهبية
نخرج للحقل والبرية
نقطع وديانا وسهولا

نقطع طرقات جبلية

لا نأبه ابدا بالتعب

ونغني ننشد في طرب

ما احلى الدنيا ما احلى

ترالَلاّ لا لا ترالَلاّ

هيا ياأطفال الدنيا

هيا نعدو

هيا نضحك

هيا نقفز

هيا نلعب

هيا هيا هياهيا

هيا يا اطفال الدنيا

هيا ننشد ملء الدنيا

هيا نحيا

هيا نحيا

هيا هيا هيا هيا

وغنت جنان ايضا، ولكنها لم تستعمل الكلمات نفسها:

في ايام الصيف الذهبية

أخْرجُ للحقل وللبرية

وأطير كأني جنّيه

أفْعلُ ما شئتُ كما شئت

أنْعمُ بالشمس وبالحرية

إن شئتُ أخوضُ بماء النهر
أو شئتُ أنَبِّشُ تحت الصخر
او شئتُ أكَسِّر قرن الثور
هاهاها .. هاهاها
ما اغبى ذاك الثور!
وأصَادِقُ ذئب الغاباتِ
وأطيرُ وراءَ النحلاتِ
وأبَلّلُ ثوبي وحذائي
حتى يتشبعَ بالماء
وأغَنّي ما أحلى الدنيا!
ما أحلى الدنيا ما أحلى!
تراللاّ لا لا تراللاّ

جنان تذهب الى السيرك

وصل السيرك الى البلدة، فركض جميع الاطفال الى ابائهم وامهاتهم يتوسلون اليهم ان يسمحوا لهم بالذهاب اليه. كذلك فعل رمزي ومها، فوافق والدهما الطيب وأعطاهما مايكفي من النقود لدخول السيرك.

حمل الطفلان النقود وهرعا الى جنان. كانت تقف مع حصانها في الشرفة الامامية وتجدل له ذنبه في جدائل عدة تربطها بشريط احمر.

قالت جنان: «عيد ميلاده اليوم. ولذا يجب ان يكون في مظهر لائق.»

صاح رمزي وهو يلهث بسبب الركض: «جنان! هل تستطعين الذهاب معنا الى السيرك!»

قالت جنان: «استطيع ان افعل ما اريد. ولكني لست متأكدة من انني ارغب في الذهاب الى ذلك «السركيس». هل هو مؤذٍ ؟»

قال رمزي: «ياألّلبلَهَ! انه لايؤذي كله لهو ومتعه: خيول ومهرجون وسيدات جميلات يمشين على الحبل.»

فتحت مها يدها لتظهر النقود وقالت: «ولكنه يكلف مالا»

قالت جنان: «انا ثريه كالعفريت ولذا اظن انني استطيع شراء «سركيس». ولكن المكان هنا سيصبح مزدحما جدا اذا صار عندي خيول اخرى . استطيع ان احشر السيدات الجميلات والمهرجين في غرفة الغسيل ولكن سيكون من الصعب التصرف بالخيول.»

قـال رمـزي: «جنان، لا تكوني بلهـاء ليس المقـصـود ان تشـتـري السيرك. المقصود ان دخول السيرك والمشاهدة تكلف نقوداً.»

صاحت جنان وهي تغمض عينيها بقوّة: «لاحـول ولا قوة الا بالله! المشاهدة تكلف نقوداً! لم اكن اعرف ذلك. قضيت كثيراً من الوقت هنا أمشي وأدور وانا مفتوحة العينين اشاهد الاشياء طوال النهار! الله اعلم كم من النقود كلفني ذلك دون ان ادري.»

بعد لحظات بدأت تفتح احدى عينيها قليلا قليلا بحذر بالغ ودارت عينها في مـحـجرها مرات عدّة، ثم قالت جنان: «فلتكلف المشـاهدة ما تكلف. لا بدّ لي من النظر!»

في النهـاية افلح رمـزي ومـهـا في ان يشـرح لهـا مـايعني السـيرك. عندئذ ذهبت جنان واحضرت بعض القطع الذهبية من حقيبتها الكبيرة. ثم وضـعت على رأسـهـا قـبعـتـهـا التي كـانت كـبيـرة جدا بـحـجم دولاب المطحنة. ومن ثم انطلق الجميع الى السيرك.

كان هـنـاك حشـد كبير من الناس خـارج خيـمة السـيرك، فضـلا عن صف طويل امـام شـبـاك التـذاكـر. في النهـاية جاء دور جنان، ادخلت رأسها عبر الشباك وحدقت في السيدة الجالسة هناك.

سـألت جنان: «كم تكلف مشاهدتك»؟

ولكن السـيـدة كـانت اجنبـيـة ،فلم تفـهم كـلام جنان، وتحـدثت بلغـة مكسـرة قـائلة: «السفّ المـمتـاز كـدام يوكـالف دنيـار سفوف في الكلف خمسة وسبعين كرش الوكوف نسف الدينار.»

تعني بذلك ان بطاقـة الصف المـمـتـاز الأمـامي تكلف دينارا، وان بطاقة الصفوف الخلفية تكلف خمسة وسبعين قرشا. اما التفرج وقوفا

فيكلف نصف دينار.

هنا تدخل رمزي قائلا: «إن جنان تريد بطاقة من النوع الذي يكلف خمسة وسبعين قرشاً. »قدمت جنان لبائعة البطاقات قطعة ذهبية، فنظرت اليها بشك ودهشة. ثم فحصتها باسنانها لتتأكد من انها ذهب حقيقي وبعد ان اقتنعت انها ذهب بالفعل، قدمت بطاقة لجنان، واعطتها كومة كبيرة من القطع الفضية هي مايتبقى لها من قيمة قطعة الذهب بعد حسم ثمن البطاقة.

إلا ان جنان ردت القطع الفضية قائلة باشمئزاز:«ماعساي افعل بهذه القطع المعدنية البيضاء التافهه؟ احتفظي بها!»

واذ اصرت جنان على رد القطع الفضية ،غيرت لها السيدة بطاقة الدخول الى اخرى من النوع الممتاز الذي يسمح للمتفرج ان يجلس في مقاعد الصف الامامي الفخمة امام حلبة السيرك مباشرة. بل انها صرفت لرمزي ومها ايضا بطاقتين من النوع نفسه دون ان تتقاضى منهما قرشاً واحداً.

وبذلك صار بامكان جنان ورمزي ومها ان يجلسوا على مقاعد حمراء فخمة امام الحلبة مباشرة. وتعمد رمزي ومها ان يُلَوّحا بيديهما لبعض رفاق المدرسة الذين كانوا يجلسون بعيدا في المقاعد الخلفية، ليلفتا انتباههم الى ما يتمتعان به من امتياز في الجلوس.

قالت جنان وهي تتلفت في المكان باستغراب: «مكان عجيب! ولكن، أرى انهم تركوا نشارة الخشب على ارض الحلبة، ولم يكنسوها. صحيح انني لست من النوع المهووس بالنظافة، ولكن يبدو لي هذا نوعا من الاهمال وقلة الترتيب.» بالطبع، لم تكن جنان تعرف ان نشارة الخشب توضع بقصد في حلبة السيرك وان الامر لم يكن اهمالا.

على منصّة قريبة بدأت فرقة موسيقية في عزف لحن عسكري. واخذت جنان تصفق بكفيها مع الايقاع وتقفز في مقعدها طربا وابتهاجا.

سألت جنان:«هل يكلف السماع نقودا ايضا، ام يأتي مجّانا؟»

في هذه اللحظة انفتحت الستارة التي كانت تخفي المدخل الخاص باللاعبين والفنانين، ودخل عريف السيرك راكضا، وهو يرتدي ملابس سوداء ويحمل سوطا بيده، ودخل معه عشرة جياد بيض ثُبّت ريش كبير على رؤوسها.

ضرب عريف السيرك الهواء بسوطه فسُمِعت فرقعة عاليه. وهنا اخذت الجياد تعدو حول الحلبة، ثم فرقع بسوطه ثانية فوقفت الجياد ساكنة ورفعت اطرافها الامامية على الحاجز المحيط بالحلبة.

وقف احد الجياد مباشرة امام الاطفال فلم تكن راغبة في ان يقترب منها احد الخيول الى هذا الحد، فرجعت بجسمها الى الخلف في مقعدها الى اقصى حد ممكن. اما جنان فمدت جسمها الى الامام وقبضت بيديها على ساق الحصان اليمنى. وقالت: «مرحبا ياصديقي. حصاني يهديك احر السلام. عيد ميلاده اليوم، وانا متأكدة انه سيكون سعيدا باستقبالك.»

لحسن الحظ، افلتت جنان ساق الحصان قبل ان يقرع العريف سوطه مرة اخرى. لان الجياد كلها قفزت لدى سماع السوط وعادت لتركض حول الحلبة.

عندما انتهى هذا العرض، انحنى عريف السيرك بأدب للجمهور، وركضت الجياد خارجة من المكان. وماهي حتى انفتحت الستارة من جديد ليدخل حصان اسود بلون الفحم. وكانت تقف على صهوته



فتاة جميلة ترتدي سروالا حريريا اخضر. كان اسم الفتاة كما ينص برنامج الحفل:الانسة كارمنسيتا. أخذ الحصان يعدو بها حول الحلبة المستديرة المغطاة بنشارة الخشب. وظلت الآنسة كارمِنْسيتا صامدة على ظهره محافظة على هدوئها وتوازنها وابتسامها. ثم حدث شيء مفاجيء؟ ففي اللحظة التي مر فيها الحصان أمام مقعد جنان انقذف شيء في الهواء مع حفيفٍ مسموع كأنه القذيفة - ولم يكن ذلك الشيء

غير جنان نفسها. وهكذا رآها الناس فجأة تنتصب على ظهر الحصان خلف الآنسة كارمِنْسيتا. في بادىء الامر غمرت الدهشة والمفاجأة كارمنْسيتا، وكادت تقع عن الحصان. ثم حين استوعبت الموقف تحوّلت الى الغضب الشديد. وبدأت تضرب بيدها وراء ظهرها لتجبر جنان على القفز عن ظهر الحصان، ولكنها لم تفلح.

قالت لها جنان: « لا تنفعلي! المتعة ليست لك وحدك! غيرك دفع نقوده أيضاً من أجل ذلك. صدّقي أو لا تصدّقي! »

عندئذ حاولت الانسة كارمِنْسيتا أن تقفزَ هي عن ظهرالحصان، ولكنها أخفقت في هذا أيضاً. وذلك لان جنان كانت تقبض بشدّة على خصرها. لم يملك المتفرّجون غير الضحك. فقد كان من الطريف بالنسبة اليهم أن يروا الآنسة كارمِنْسيتا الجميلة تحت سيطرة طفلة عجيبة حمراء الشعر، تقف صامدة على ظهرالحصان بحذائها الضخم وكأنها قضت كل حياتها تؤدي عروض السيرك.

ولكن عريف السيرك لم يشارك الناس الضحك. وإنما أشار الى مساعديه الذين يرتدون معاطف حمراء، فركضوا جميعاً الى الأمام وأوقفوا الحصان.

قالت جنان بأسف: « هل انتهى العرض! يا للأسف! ولكننا لم نشبع بعد من اللّهو والمتعة! »

صك عريف الحفل بأسنانه من الغضب، وقال بصوت أشبه بالفحيح: «طفلة رهيبة! أخرجي من هنا!»

نظرت جنان اليه بحزن وقالت: «لماذا أنت غاضب مني؟ كنت أحسب ان من حق كل شخص هنا ان يستمتع بالوقت!»

قفزت عن الحصان وعادت الى مقعدها. ولكن، مالبث ان جاء اليها اثنان من المساعدين ليخرجاها من السيرك. أمسكا بها وحاولا رفعها.

كان ذلك بلا جدوى. فقد بقيت جنان صامدة ثابتة في مكانها. ولم يكن في وسع الرجلين أن يحركاها من موضعها، على الرغم من أنهما بذلا أقصى جهدهما. وأخيراً يئسا من المحاولة، فهزا كتفيهما يأساً، وابتعدا عنها.

في هذه الاثناء بدأ العرض التالي. وهو عرض المشي على حبل مشدود عالياً، وتؤديه الآنسة الفيرا. كانت ترتدي «تنّورة» حريريّةً زهريةَ اللّون، وتحمل بيدها مظلّة خفيفة زهرية اللّون ايضاً. وبخطوات رشيقة دقيقة أخذت تنقل أقدامها بسرعة على الحبل المشدود. قفزت في الهواء وقلّبت ساقيها كما تفعل راقصات الباليه لتستقر من جديد على الحبل محافظةً على توازنها. وقامت بكل ما تتقنه من الحركات الرشيقة الصعبة. وأثبتت أيضا أنها تستطيع أن تمشي إلى الخلف على الحبل المشدود الرفيع. ولكن حين عادت الى القاعدة الصغيرة التي تتصل بها نهاية الحبل، واستدارت، وجدت جنان واقفة هناك.

قالت جنان وقد سرّها أن ترى علامات الدهشة على وجه الآنسة الفيرا: «ما الذي ستفعلينه الآن؟»

لم تقل الآنسة الفيرا شيئاً، إلاّ أنها قفزت الى الاسفل، وركضت نحو عريف السيرك وطوقت عنقه بذراعيها، فقد كان عريف الحفل أباها. ومن جديد، أرسل العريف الى حرسه لاخراج جنان. ولم يكتفِ هذه المرة باثنين، بل أرسل خمسة منهم. ولكن الناس أخذوا يصيحون: «اتركوها! نريد ان نشاهد الفتاة الصغيرة ذات الشعر الاحمر.» وجعلوا يصفقون بأيديهم ويخبطون الارض بأقدامهم.

وهكذا بدأت جنان تركض على الحبل بمهارة عجيبة جعلت حركات الآنسة الفيرا تبدو هزيلة مقارنةً معها. وحين صارت جنان في وسط الحبل رفعت احدى ساقيها عالياً في الهواء حتى صار حذاؤها الضخم فوق رأسها كالسقف، ثم ارجعت ساقها المرتفعة اكثر الى الخلف وحكّت بها ما وراء أذنها!

لم يكن عريف الحفل سعيداً إطلاقاً بتلك الطفلة التي فرضت نفسها وأخذت تؤدي تلك الحركات أمام الجمهور. أراد أن يتخلّص منها بأي ثمن. فغافل الناس وعبث بالجهاز الذي يشدّ الحبل ليرخيه، واثقاً من أن ذلك سيؤدي الى وقوع جنان.

ولكن جنان لم تقع، بل إنها حولت الحبل المُرخى الى أرجوحة، وتعلّقت بها وأخذت تتأرجح الى الامام والى الخلف بسرعة متزايدة، أسرعَ فأسرع، أسرع فأسرع... وفجأة طوّحت بنفسها في الهواء وهبطت مباشرة على عريف السيرك. خاف العريف خوفاً شديداً وأخذ يركض هارباً، بينما بقيت جنان متشبثة به.

قالت جنان: «هذا الحصان أمتع للركوب من الحصان الاول. ولكن، لماذا لا تضع ريشاً على رأسك؟»

رأت جنان الآن أنه قد آن الاوان لتعود الى صاحبيها رمزي ومها. وهكذا نزلت عن عريف السيرك وعادت الى مقعدها قبل أن تبدأ الفقرة التالية. حصل بعض التأخير لأنه كان على عريف السيرك أن يخرج لتناول كأس من الماء ولتمشيط شعره. ولكنه رجع بعدئذٍ وانحنى للجمهور وأعلن بصوت مرتفع: «سيداتي سادتي! بعد لحظات ستشاهدون أعجوبة من أعاجيب الدنيا في كل الازمان: إنه أقوى رجل في العالم. إنه السّيد «جبّار» الهائل الذي لم يستطع احد أن يهزِمَه.

ها هـو الآن! سيّداتي سادتي، أقدم لكم «جبّار» أقوى رجل في العالم.»

دخل في حلبة السيرك رجل عملاق يرتدي سروالاً قرمزياً، ويلف حول بطنه جلد فهد مرقّط. انحنى للجمهور وبدا معتداً بنفسه، واثقاً من قدراته الى أبعد الحدود.

ضغط عريف السيرك على ذراع «جبّار» حيث تنتفخ العضلات الضخمة كأنها كرات كبيرة تختفي تحت الجلد، وقال: «انظروا الى هذه العضلات! والآن. سيداتي سادتي، من منكم يجرؤ على مصارعة جبار الرهيب؟ من منكم يملك الجرأة الكافية ليحاول أن يهزم أقوى رجل في العالم؟ سأدفع مائة دينار لمن يستطيع هزيمة جبار الرهيب، مائة دينار، فكروا في الامر سيداتي سادتي! هيا! من يحاول؟»

لم يتقدم أحد.

سألت جنان: «ماذا قال؟»

أجاب رمزي: «إنه يقول انه سيدفع مائة دينار لمن يستطيع ان يهزم ذلك الرجل الضخم.»

قالت جنان: «أنا أستطيع. ولكن، أعتقد أن ذلك سيكون أمراً مؤسفاً. فهو يبدو رجلاً لطيفاً.»

قالت مها: «لا يمكن لك أن تهزميه. إنه أقوى رجل في العالم.»

قالت جنان: «ربما كان أقوى رجل في العالم. ولكني أنا أقوى بنت في العالم. لا تَنْسَيْ ذلك!»

في هذه الأثناء كان «جبّار الرهيب» يرفع الاثقال ويثني قضبان الحديد الغليظة، ليعرض للناس مدى قوته.

صاح عريف السيرك من جديد وهو يلّوح بالدنانير المائة: «مابكم

أيها الناس الطيّبون؟! أحقاً لايوجد شخص هنا يحب أن يفوز بمائة دينار؟ هل يجب ان أحتفظ بها لنفسي؟»

هنا قالت جنان وهي تتسلّق حاجز الحلبة: «لا، لا أعتقد انك يجب ان تحتفظ بها لنفسك.»

قال عريف السيرك بصوت مبحوح: «اذهبي! غيبي! لا أريد أن أراك.»

قالت جنان مؤنّبة: «لماذا تفتقر دائما الى اللطف؟ كل ما أُريد هو ان اصارع جبار الرهيب.»

قال عريف السيرك: «ليس هذا وقت المزاح! هيا اغربي عن وجهي، قبل أن يسمع «جبار الرهيب» كلامك السخيف.»

ولكن جنان عدّت عن عريف السيرك، واتجهت مباشرة الى «جبار الرهيب». أخذت يده بيدها وهزتها باحترامٍ ومودة، وقالت: «والآن، مارأيك في ان نتصارع قليلاً، أنت وأنا؟»

نظر «جبار الرهيب» اليها، ولكنه لم يستوعب شيئاً مما قالته.

ثم قالت جنان: «سأبدأ بعد دقيقة من الآن.»

وقد بدأت بالفعل. أمسكت «بجبّار الرهيب» من وسطه، وقبل أن يعي أحد مايحدث كانت قد ألقته على الارض. قفز «جبّار الرهيب» واقفاً وقد تضرّج وجهه بالحمره.

صاح رمزي ومها: «تحيا جنان! تحيا جنان!» سمع الجمهور ذلك فأخذ يردد معهما: «تحيا جنان! تحيا جنان! » أما عريف السيرك فقد جلس على حاجز الحلبة يفرقع أصابع يديه. كان يتميّز غضباً، ومع ذلك كان « جبّار الرهيب » أشدّ غضباً منه. فهو لم يشعر في حياته



بمثل هذه المهانة. ولذا صمّم الآن أن ينتقم لنفسه، ويُعلّم تلك الفتاة ذات الشعر الاحمر درساً لا تنساه. وهكذا اندفع نحوها وشدّ ذراعيه حول وسطها، وجذبها بكل قوته ليلقيها أرضاً. ولكن جنان بقيت ثابتة كالصخرة.

قالت له جنان لتشجعه: «حاول! يمكنك أن تفعل خيراً من هذا.» ثم تملّصت بسرعة من طوق ذراعيه الضاغطتين، وفي أقل من لمح البصر كان «جبّار الرهيب» منبطحاً من جديد على الارض. وقفت جنان الى جانبه تنتظر وقوفه. ولم يكن عليها أن تطيل الانتظار، فما هي حتى انتصب جبار الرهيب واقفاً مع زأرة هائلة، واندفع نحوها من جديد.

أخذت جنان تتقافز أمامه وتصيح: «هيا!هيا! أرني! »

وأخذ جميع الحضور يضربون الارض بأقدامهم ويقذفون قبعاتهم

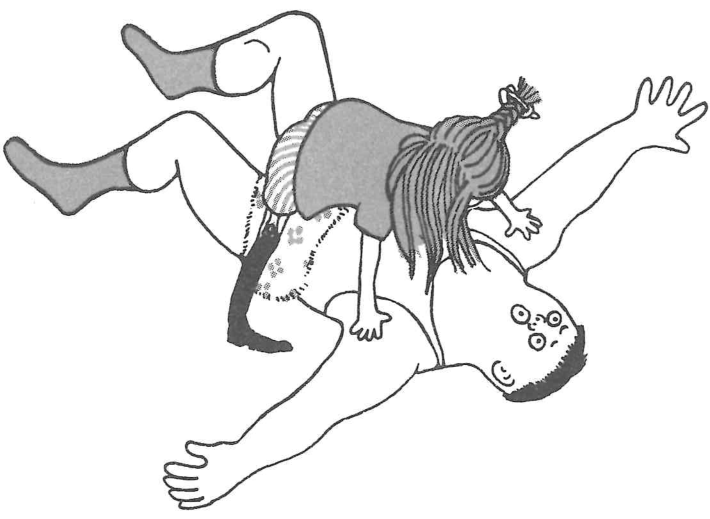
في الهواء ويصيحون: «تحيا جنان! تحيا جنان!»

اندفع «جبار الرهيب» للمرة الثالثة نحو جنان فتلقّته بيديها ورفعته عاليا في الهواء فوق رأسها وأخذت تدور به في الحلبة، ثم مددته على الارض وثبّتته هناك.

قالت جنان وهي تثبّته: «والآن أيها الفتى الصغير، أعتقد أننا اكتفينا من هذه اللّعبة. لا أظنّ اننا سنجد فيها اية متعة جديدة بعد الآن.»

صاح الجمهور: «جنان هي الفائزة! جنان هي الفائزة!»

انسل جبار الرهيب على عجل خارجاً من الحلبة. أما عريف السيرك فلم يجد بدّاً من أن يتقدم من جنان ويسلّمها المائة دينار، مع أنه بدا وكأنه يفضل أن يأكل جنان بدلاً من ذلك.



قال عريف الحفل وهو يسلّم جنان الدنانير: «والآن يا سيّدتي الصغيرة، ها هي دنانيرك.»

قالت جنان مستنكرة: «ماهذه؟ماذا عساي أفعل بهذه الاوراق القديمة. تستطيع ان تحتفظ بها لتلّف بها السمك اذا شئت!»

ثم عادت الى مقعدها وقالت لرمزي ومها: «يبدو أن عروض هذا السيرك طويلة جداً. اعتقد أنني سأغفو الآن قليلاً. ولكن، أيقظاني إذا احتاج أحد الى مساعدتي.»

عندئذ رجعت الى الوراء في مقعدها، وذهبت في النوم فوراً. ثمّ أخذت تشخر بينما كان المهرّجون وبالعو السيوف وسحرة الافاعي يقدّمون عروضهم امام رمزي ومها وبقية الجمهور.

همسَ رمزي لها: «مهما يكن، أعتقد أن جنان، هي الأفضل.»

جنان تستقبل لصّين

بعد أداء جنان في السيرك، لم يبقَ أحد في البلدة الصغيرة لم يسمع بقوتها الخارقة. بل نشرت الصحف مقالات عنها. ولكن، من الطبيعي أن الناس الذين يعيشون خارج البلدة في مناطق أخرى لم يسمعوا بجنان حتى تلك اللحظة.

في إحدى ليالي الخريف المظلمة، كان لصان يتسكعان في الطريق المحاذي « لبيت يا ليت». كانا لصّين شرسين. وقد خرجا يستطلعان الريف لعلهما يجدان ما يسرقانه. وعندما رَأيا الضوء منبعثاً من « بيت ياليت » قررا أن يدخلا ويطلبا شطائر للأكل.

في ذلك المساء، كانت جنان قد أفرغت جميع قطعها الذهبية على أرض المطبخ، وجلست تعدّها. وللحقيقة فانها لم تكن تحسن العدّ، ولكنها كانت تفعل ذلك بين الفينة والاخرى من باب الحرص. كانت تعدّ وتقول:

« ... خمسٌ وستون، ستّ وستون، سبعٌ وستون، ثمانٍ وستون، تسع وستون، أحد عشر وستون، اثنا عشر وستون، ثلاثة عشر وستون، ستة عشرة وستون... أووف، أشعر أن حنجرتي صارت «ستون». يجب أن يكون في الحساب أعداد أخرى. آه، تذكرت الآن! نعم مائة وأربع، ألف. ما شاء الله! مال كثير!»

في هذه اللحظة سَمِعَت طرقاً على الباب.

صاحت جنان: «ادخل أو أبق في مكانك كما تشاء. فانا لا أجبر

أحدا على شيء.»

فُتِحَ الباب، ودخل منه اللّصان. ولكم كانت دهشتهما حين شاهدا جنان، تلك الفتاة ذات الشعرالاحمر، تجلس وحدها على الارض وتعد كل ذلك الذهب.

سأل أحدهما بمكر: «هل أنت وحدك في البيت!»

قالت جنان: «بالطبع لا. السيد نعمان معي في البيت.»

وبالطبع، لم يكن اللصان يعرفان ان السيد نعمان ما هو إلاّ قرد، وأن هذا القرد ينام في سرير لعبة صغير أخضر. فقد حسبا أن السيد نعمان هو رجل البيت. ولذا تبادلا غمزة خاصة، تعني أن من الافضل أن يعودا في وقت مناسب آخر، ولكنهما قالا لجنان: « لقد جئنا نسأل عن الساعة عندك. » يقصدان بذلك أنهما يريدان أن يسألا عن الوقت.

لكن جنان فهمت كالعادة شيئاً آخر، فقالت: «تسألان عن الساعة! أين كنتما تعيشان ايها الرجلان الكبيران. من في الدنيا لايعرف ما الساعة؟ الساعة آلة مدوّرة صغيرة تقول: تك تاك، تك تاك. وعلى الرغم من أنها تمضي هكذا بلا توقف، فإنها لا تستطيع الوصول الى الباب! والآن، إذا كان عندكما ألغاز فهاتا.»

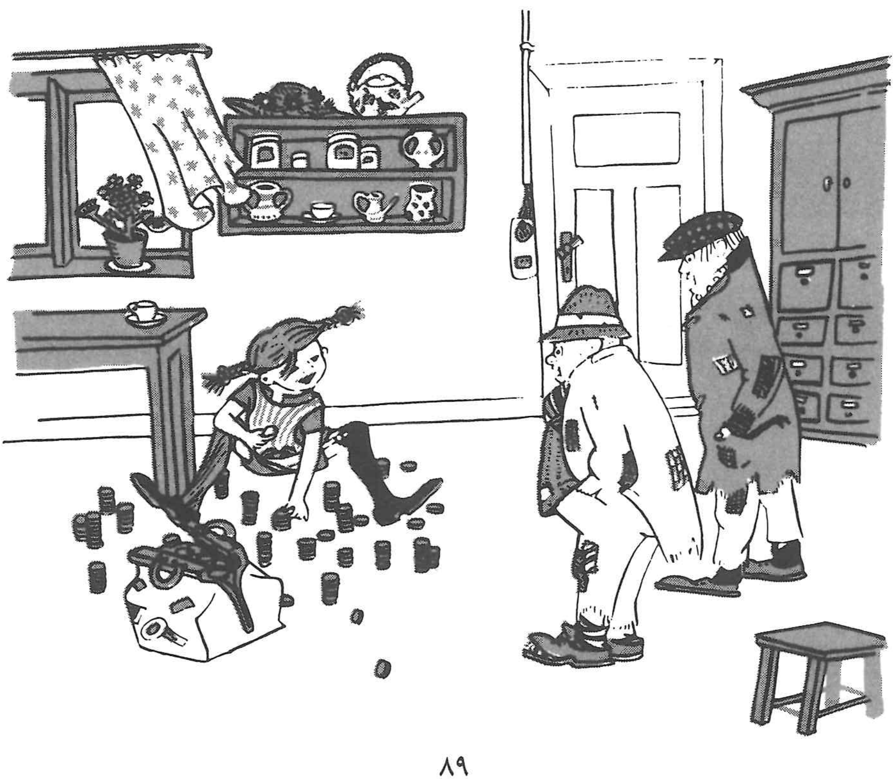
ظن اللّصان أن جنان أصغر من أن تستطيع قراءة الساعة. وبدون أن ينبسا ببنت شفة خرجا من البيت، بينما عادت جنان إلى عدّ النقود الذهبيّة. وما إن صار اللّصان في الخارج حتى فركا يديهما بابتهاج، وقال أحدهما: «هل رأيت كل ذلك المال؟ ياإلهي!»

قال الآخر: «نعم، أحياناً يصادفنا حظ عظيم. كل مانحتاج إلى عمله، هو أن ننتظر ريثما تنام الصغيرة والسيد نعمان ذاك. ثمّ نتسلّل

إلى الداخل ونسطو على الغنيمة.»

وهكذا جلسا ينتظران تحت شجرة بلوط في الحديقة. كان المطر يتساقط في تلك الساعة، وكان اللّصان يشعران بجوع شديد، إلاّ أن فكرة السطو على النقود أبقت معنوياتهما مرتفعة، وساعدتهما على الاحتمال.

شاهد اللّصان بيوت الحيّ تطفيء أنوارها، الواحد تلو الآخر، ما عدا «بيت يا ليت» الذي بقي النور منبعثاً من نوافذه. ذلك أن جنان كانت تدرّب نفسها على رقصة جديدة، وصمّمت على ألاّ تخلد إلى النوم



حتى تطمئنّ إلى أنها أتقنت الرقصة. وبعد وقت طويل، انطفأ النور في «بيت ياليت» كغيره من البيوت.

انتظر اللّصان وقتاً كافياً حتى يطمئنا إلى أن السيد نعمان قد استغرق في النوم. وأخيراً تسلّلا بهدوء الى باب المطبخ الخارجي، واستعدا لخلع الباب بأدوات اللصوص. ولكن أحدهما (واسمه بالمناسبة فلفل) تحسس مقبض الباب قبل ذلك، فشعر به يتحرّك دون جهد، وعرف أن الباب لم يقفل بالمفتاح.

همس فلفل لصاحبه: « يبدو أن أصحاب البيت بُلَهاء. فالباب مفتوح.»

أجاب الآخر، وكان يُعْرَفُ باسم «فول» بين أصحابه: «ذلك من حسن حظنا.»

أشعل «فول» مصباحه اليدوي، وتسلّل الاثنان إلى داخل المطبخ. لم يجدا أحداً هناك. في الغرفة المجاورة كانت جنان تنام في سريرها، وكان هناك أيضاً السيد نعمان نائماً في سرير اللّعبة.

فتح «فول» باب الغرفة واسترق النظر بحذر. كان المكان هادئا مظلماً لا حسّ فيه، فوجّه « فول» ضوء المصباح اليدوي الى الداخل وبدأ يستطلع الغرفة من مكان الى آخر فيها. عندما وقع الضوء على سرير جنان، دهش اللّصان اذ لم يشاهدا غير قدمين تستريحان على الوسادة. كالعادة كانت جنان تنام بالعكس على السرير، وتغطي رأسها وجسمها باللحاف.

همس «فول» لصاحبه «فلفل»: «لابدّ أن هذه هي الفتاة الصغيرة. ولكن اين هو نعمان؟»



هنا جاء صوت جنان هادئاً تحت الغطاء قائلاً: «السيد نعمان من فضلك! يجب حفظ الألقاب إن لم يكن عندك مانع! السيد نعمان ينام في سرير اللعبة الاخضر.»

أجفل اللصان وأوشكا على الهرب فوراً. ولكنهما استوعبا فجأة ما قالته جنان من ان السيد نعمان ينام في سريراللعبة! وفي ضوء المصباح استطاعا ان يشاهدا السرير الصغير والقرد الذي ينام فيه.

لم يتمالك «فول» نفسه من الضحك، وقال: «انظر يا «فلفل»! السيد نعمان قرد. هل تصدّق هذا؟ ها ها ها.»

وجاء صوت جنان ثانية من تحت الغطاء: «ماذا حسبته إذن؟! ماكنة فرم اللحمة؟»

سألها فلفل: «هل أبواك في البيت؟»

أجابت جنان: «لا. ليسا هنا. ليسا هنا إطلاقاً. »

تبادل «فلفل» و «فول» ابتسامة ماكرة ثم قال «فول»: «اسمعي أيتها الفتاة الصغيرة، تعالي الآن حتى نتحدث معك قليلاً.»

قالت جنان : «لا، فأنا الآن نائمة. هل تريدان التسلّي بألغاز جديدة؟ إذا كان كذلك، فخذا هذا اللغز. ما هو الشيء الذي يمضي بلا توقف دون أن يبلغ الباب؟»

هنا تقدّم «فلفل» من سريرها ورفع عنها الغطاء.

قالت جنان وهي تنظر في عينيه بثقة تامّة: « هل تستطيع الرقص؟ أنا استطيع!»

قال «فول»: « إنك كثيرة السؤال. نحن أيضاً نحب ان نوجّه اليك بعض الاسئلة. مثلا، اين توجد النقود الذهبية التي كانت مكوّمة على الأرض قبل قليل؟»

قالت جنان ببراءة تامة: «إنها في الحقيبة الموضوعة على ظهر الخزانة.»

ابتسم «فول» و «فلفل» ابتسامة عريضة أخرى.

قال فلفل: «أرجو الا يكون عندك مانع في أن نأخذها أيتها الصديقة الصغيرة.»

قالت جنان: «لا، أبداً، بالطبع لا.»

وعليه، مضى «فلفل» وأنزل الحقيبة عن ظهر الخزانة.

وهنا قفزت جنان من فراشها واتجهت نحو «فلفل» وهي تقول: «أرجو ألا يكون عندك مانع في أن آخذها ايها الصديق الصغير.»

وبدون ان يدري كيف حصل ذلك، كانت الحقيبة قد انتزعت من يده

وصارت فجأة بيد جنان.

قال «فول» بغضب: «اسمعي ايتها البنت. هذه ليست طرفة أو مزاحاً. أعطني الحقيبة فوراً.»

وقبض على ذراع جنان بشدّة، وحاول انتزاع الغنيمة منها.

قالت جنان: «لم أكن أمزح.» ورفعت فول عالياً ووضعته على ظهر الخزانة. وما هي حتى الحقت به «فلفل»، فصار الإثنان معاً على ظهر الخزانة.

عندئذٍ أصابهما الخوف، إذ بدءا يدركان أن جنان ليست طفلة عادية. ولكنهما كانا يتوقان الى الحصول على الحقيبة الى حدٍّ نسيا معه مخاوفهما.

صاح فول بصاحبه: «هيا، معاً!» وقفزا من ظهر الخزانة وقذفا نفسيهما على جنان التي كانت ما تزال تحمل الحقيبه بيدها. ولكن جنان لكزت كلاً منهما لكزة خفيفة بمقدّم أصابعها فطوّحت بهما في الهواء. وحط كل منهما في زاوية من زوايا الغرفة. وقبل أن يتمكنا من النهوض. كانت جنان قد أحضرت حبلا، وفي مثل لمح البصر أوثقت ايديهما وأرجلهما. وهنا تغيّرت لهجتهما.

توسّل فول إليها قائلاً: «أيتها الآنسة الطيبة! أرجوك اصفحي عنا! لقد كنا نمزح فقط. لاتؤذينا، فلسنا غير مُتَشَرّدَيْن مُفْلِسَيْنِ جاءا يتسوّلان شيئًا من الطعام.»

أما «فلفل» فقد أذرف دمعة أو دمعتين.

أعادت جنان الحقيبة الى مكانها فوق الخزانة، ثم التفتت الى أسيرَيْها، وقالت: «هل يستطيع أي منكما الرقص؟»



أجاب «فـول»: «أم م.. الرقص؟ أم م م م ...يعني.. أستطيع القو ل إننا.. نعم لقد مارسنا ذلك بعض الوقت.»

صفقت جنان بيديها وقالت: «آه، عظيم! ما رأيكما ان نحاول معا إذن؟»

قال «فول» متحيّراً بعض الشيء: «لم لا؟ نرقص! لماذا لانرقص!»

عندئذٍ جاءت جنان بمقص وقصت الحبال التي كانت تقيد ضيفيها.

ثم قالت جنان بأسف: «آه، نحتاج الى موسيقى، وليس عندي شيء

يصدر الموسيقى.» ثم خطرت لها فكرة، فقالت لفلفل.

«هل تستطيع ان تنغّم لنا بالنفخ على المشط، لكي أرقص أنا مع هذا!»

نعم، كان باستطاعة فلفل ان يصدر انغاماً بالنفخ على المشط مؤكداً. وبالفعل ضجّ البيت بالنغم حتى أجفل السيد نعمان وصحا من نومه وجلس في سريره يراقب جنان وهي تدور راقصة مع «فول». كانت منهمكة حقاً في الرقص وكأن حياتها تعتمدعلى ذلك.

أخيرا توقف «فلفل» عن التنغيم، وقال إن حلقه قد جفّ وإن المشط يشك شفتيه بلا هوادة. أما «فول» فقد بدأ كذلك يشعر بالإرهاق الشديد بعد يوم شاق قضاه في التجول في الطرقات مشياً على الاقدام.

ولكن جنان رجتهما قائلة: «دعونا نتابع وقتاً قصيراً فقط.» ثم تابعت الرقص، ولم يكن أمام «فلفل» و «فول» إلاّ أن يطيعا ويتابعا معها.

عندما بلغ الوقت الثالثة صباحاً، توقفت جنان وقالت: « آه، ما أجمل هذا! استطيع الاستمرار حتى يوم الخميس! ولكن، لعلكما قد تعبتما وجعتما!»

وقد كانا كذلك حقاً منذ وقت طويل، إلاّ أنهما لم يجرؤا على قول ذلك. وهكذا جاءتهما جنان بخبز وجبن وزبدة وشرائح لحم بقري وحليب، وجلسوا جميعاً حول طاولة المطبخ:جنان، وفلفل، وفول، وطفقوا يأكلون ويأكلون حتى انتفخوا. سكبت جنان بعض قطرات الحليب في أذنها وقالت: «إنه مفيد لوجع الاذن.»

قال لها فلفل: «هل توجعك أذنك؟»

قالت جنان: «لا، ولكن يمكن ان يحدث هذا مستقبلاً!»

أخيراً وقف اللصان، وشكرا جنان على الطعام، واستأذناها في الخروج بأدب جم.

قالت جنان: «كان لطفاً كبيراً منكما ان تقوما بالزيارة.» ثم قالت بأسف: «هل يجب ان تغادرا بهذه السرعة؟» ثم خاطبت «فول» قائلة: «لم أر في حياتي أحداً يحسن الرقص مثلك يا عَسَل!»

ثم التفتت الى «فلفل» وقالت: «تابع التدرّب على التنغيم بالمشط. وسوف تعتاد عليه».

بينما كانا يتجهان نحو باب الخروج، لحقت بهما جنان راكضة وأعطت كلاً منهما قطعة من الذهب، وقالت: «لقد كسبتما هذه بعرق الجبين» .

جنان تذهب الى حفلة شاي

دعت أم رمزي ومها مجموعة من السيدات الى حفلة شاي، ونظراً الى أنها أعدت مقداراً كبيراً من الكعك فقد قررت أن تسمح لرمزي ومها ان يدعوا جنان في الوقت نفسه.

فرح رمزي ومها فرحاً كبيراً حين أخبرتهما أمهما بذلك، وركضا مباشرة الى جنان. في ذلك الوقت، كانت جنان تطوف في حديقتها وتسقي شجيرات الورد القليلة التي تبقت في الحديقة بسبب الإهمال، وكانت تصب الماء من علبة معدنية صدئة. ولما كان المطر يزخ زخاً شديداً في ذلك النهار، أخبرها رمزي أنه لا ضرورة لسقي الشجيرات.

قالت جنان بإصرار: «قل مابدا لك أن تقول. أما أنا فقد قضيت الليل كله ساهرة استعجل طلوع الصباح وأتخيل المتعة التي سأحصل عليها حين أنهض وأبدأ في سقي الازهار. والآن لن أدع قَطْرة خفيفة تحول بيني وبين ما أريد.»

هنا أفضت مها بالاخبار الرائعة المتعلقة بحفلة الشاي.

صاحت جنان: «حفلة شاي..أنا؟» ومن شدّة التلهّف نسيت نفسها فأخذت تصب الماء على رمزي بدلاً من شجيرات الورد. وتابعت بنفس الحماس الطاغي قائلة: «ماذا سيحدث؟ النجدة! أنا شديدة التوتر! ماذا لو لم أحسن التصرّف؟»

قالت مها: «بالطبع سوف تحسنين التصرّف.»

قالت جنان: «لا تكوني واثقة من ذلك. إنني أحاول في العادة، صدّقاني! ولكني كثيراً ما ألاحظ أن الناس لا تعجبهم تصرفاتي، على

الرغم من أنني أحاول حقاً. وحقيقة أنني أبذل قصارى جهدي في أن أكون لطيفة قدر ما أستطيع. عندما كنا نطوف البحار لم نكن نهتم كثيرا بهذه الأمور. ولكن أعدكما أنني سأضبط نفسي اليوم مهما كلّف الثمن، لكي لا أسبّب لكما أي إحراج.»

قال رمزي: «عظيم!» وانطلق مع مها عائدَيْن الى البيت. وقبل ان يبتعدا كثيراً التفتت مها وهي تحمل مظلّتها وصاحت: «لا تَنْسي! الساعة الثالثة عصراً في هذا اليوم.»

في تمام الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم ظهرت سيدة صغيرة شديدة الاناقة وهي تصعد درج بيت مها ورمزي. إنها جنان نفسها. ومن أجل التغيير كانت قد فردت شعرها الاحمر بدلاً من الجديلتين، فكان يسقط على كتفيها وحول عنقها كلبدة الأسد.

وكانت كذلك قد لونت شفتيها بالاحمر الفاقع مستعملة طبشورة حمراء، وسوّدت حواجبها بطريقة مخيفة. كذلك لونت أظفارها جميعاً بالطبشور الاحمر، ووضعت على حذائها شريطا أخضر كبيراً.

وإذ كانت تقترب من الباب وتتهيأ لضغط الجرس، تمتمت لنفسها قائلة: «أعتقد اني سأكون أجمل من في الحفلة.»

في صالة البيت، جلست ثلاث سيدات مرموقات، اضافة الى رمزي ومها وأمهما. وكانت ثمة منضدة كبيرة في المكان وضعت عليها أنواع الحلويات والكعك. وكان الحطب يشتعل ويتوهّج في المدفئة الحجريّة. كان الجو شديد الهدوء.

وفجأة تبددّ كل ذلك الهدوء مرة واحدة.

«أنا هنا! مرحباً!» هكذا جاءت الصيحة عبر مدخل الصالة لتشقّ

هدوء المكان. وما هي حتى برزت جنان واقفة أمام المدخل. كانت صيحتها مدويّة ومفاجئة حتى أن السيدات الضيفات أجفلن في مقاعدهن.

ثم جاءت الصيحة الثانية من جنان بأسلوب الأوامر العسكرية اثناء التدريب: «إلى الأمام سيري!» وتقدّمت جنان نحو أم مها ورمزي بخطى عسكرية موزونة.

«مكانَكِ قِفي!» وتوقفت.

«الأيدي إلى الأمام! الاولى! الثانية!» هكذا صاحت ثم أمسكت يد أم مها ورمزي بكلتي يديها وهزتها بحرارة بالغة.

ثم صاحت من جديد: «الركبتان اثني!» وثنت ركبتيها وخفضت جسمها الى الاسفل في إيماءة احترام وتقدير. ثم ابتسمت لأم مها ورمزي وتحدثت هذه المرة بالطريقة العادية المألوفة: «في الحقيقة أنا خجول جداً. ولذا أضطر الى توجيه الاوامر العسكرية الى نفسي. لأنني إن لم أفعل ذلك بقيت واقفة في المدخل دون ان أجرؤ على الدخول.»

ثم اندفعت نحو السيدات الاخريات وقبّلت خدودهن، وقالت بأسلوب مفخّم: «إنكنّ غاية في السحر والجاذبية. أقسم بشرفي!» (كانت قد سمعت في السابق رجلاً من الطبقة الراقية يقول هذا لإحدى السيّدات.) ثم جلست في أفخم ما وجدت من المقاعد. كان حساب أم مها ورمزي أن يقيم الأطفال حفلتهم في غرفة ولديها، لا أن يشاركوا الكبار حفلتهم. ولكن جنان ظلت جالسة في مقعدها بهدوء، ثم ضربت بيدها على ركبتها وقالت وهي تنظر الى المائدة: «تبدو أشياء شهية. متى نبدأ؟»



في تلك اللحظة ، دخلت الخادمة مع وعاء الشاي، فقالت أم مها ورمزي: «تفضلوا إلى الشاي.»

صاحت جنان: «أنا الاولى!» وبقفزتين صارت أمام المائدة. كوّمت في طبقها كل ماقدرت عليه من الكعك، وقذفت خمس قطع سكر في فنجانها، وأفرغت فيه نصف وعاء الحليب الدسم، وما هي إلا لحظات حتى كانت عائدة إلى مقعدها، حتى قبل أن وصلت السيدات الى المائدة.

مدت جنان ساقيها أمامها ووضعت طبق الكعك بين إصبعي قدميها الكبيرين. وبكل همّة أخذت تغمس الكعك في فنجان الشاي، ثمّ تحشو فمها بكميات هائلة منه مرّة واحدة، حتى لم يعد بإمكانها ان تخرج كلمة واحدة من فمها مهما حاولت. وفي مثل لمح البصر كانت قد التهمت جميع الكعك في طبقها. وَقَفَتْ وَطَرَقَتْ على طبقها الفارغ كما يُطْرَق على الدّف، وعادت الى المائدة لترى إن كان قد تبقى هناك شيء من الكعك. نظرت السيدات اليها نظرة استياء، ولكنها لم تبال بذلك. وأخذت تدور حول المائدة وهي تدندن بمرح، بينما كانت تلتقط قطعة كعك هنا، وقطعة كعك هناك وتزدردها.

قالت: «لقد كان لطفاً منكم أن تدعوني، فأنا لم أُدْعَ الى حفلة شاي من قبل.»

كان على الطاولة فطيرة كبيرة مكسوّة بالقشدة، ومزينة في وسطها بقطعة حلوى حمراء. وقفت جنان ويداها وراء ظهرها وأخذت تنظر. وفجأة انحنت الى الاسفل لتنتزع قطعة الحلوى الحمراء بأسنانها. ولكنها هبطت برأسها عليها بسرعة زائدة قليلاً، وحين رفعت رأسها كان وجهها مغطى تماماً بالقشدة المخفوقة.

- ضحكت جنان وقالت: «الآن نستطيع ان نلعب «اغمض عينيك وامسكني». ولا نحتاج الى ربط شريط على العينين، فأنا جاهزة بدون ذلك. إنني لا أرى الآن شيئاً.»

أخرجت لسانها ولعقت القشدة، وقالت: «كان ذلك حادثاً غير مقصود. وقد دُمِّرَت الفطيرة على اية حال. فيحسن بي إذن أن أجهز عليها مرة واحدة.»

وهكذا نزلت في الفطيرة التهاماً. وفي لحظات كانت الفطيرة قد اختفت. تحسست جنان بطنها باكتفاء ورضاً. وفي اثناء ذلك كانت أم مها ورمزي في المطبخ لإحضار شيء ما، ولذا لم تعرف بالذي حدث للفطيرة. أما السيدات الاخريات فأرسلن إلى جنان نظرة شزراء. فلاشك أنهن كن يرغبن في تناول شيء من الفطيرة ايضاً. ولاحظت جنان ما بدا عليهن من خيبة الامل، فقررت أن تُسرّي عنهن قليلاً.

قالت لهن: «يجب ألاّ تَسْتَأنَ لحادث بسيط مثل ذاك. الأهم من كل شيء أن الصّحة جيدة والحمد لله. في حفلات الشاي يجب ان يستمتع الانسان ويتسلّى.»

وإذ نطقت هذه الكلمات أخذت وعاء السكر عن الطاولة ورشت على الارض مقداراً كبيراً منه، وقالت:

«هل سبق أن لاحظتن كم هو ممتع أن يمشي الانسان على أرض مرشوشة بالسكر. بالطبع، يصبح الامر أكثرمتعة إذا مشى الانسان بأقدامه العارية.» قالت ذلك وهي تخلع حذاءها وجوربيها، وتابعت قائلة: «يجب أن تجرّبن هذا بأنفسكن. ليس هناك ماهو أكثر متعة منه، صدقنني!»

في هذه اللّحظة دخلت أم مها ورمزي، وحين رأت السكر مرشوشا على طول الارض قبضت بشدّة على ذراع جنان، وقادتها الى الأريكة التي يجلس عليها رمزي ومها. ثم عادت الى السيّدات ودعتهن الى احتساء المزيد من الشاي. وحين لاحظت اختفاء فطيرة القشدة، سرّت كثيراً، إذ ظنّت أن السيدات قد أعجبن بطعمها كثيراً إلى حدّ أنهن أكلنها كلّها.

جلس رمزي ومها وجنان بهدوء على الأريكة. وأخذ الحطب المشتعل يفرقع في المدفئة الحجريّة. وعم الهدوء والسكون أرجاء المكان من جديد. وكما يحدث كثيراً في حفلات الشاي، بدأت السيدات يتحدثن عن مشكلات الخادمات. وكان واضحاً من كلامهن أنهن لم يُوَفّقْنَ بالخادمات اللواتي يعملن عندهنّ، إذ لم يكنّ راضيات أبداً عن مستوى عملهنّ. واتفقت السيّدات على انه من الافضل ألاّ يكون عند الإنسان خدم. فالأوْلى أن يقوم الانسان بنفسه، لأنه عندئذ يكون مطمئناً الى مستوى الإتقان.

كانت جنان جالسة على الأريكة تستمع الى كلام السيدات، وبعد أن تحدّثن مدّة من الوقت، قالت: «في يوم من الأيام كان تعمل عند جدتي خادمة اسمها «زينة». وكانت قدمها متقرّحة. وبخلاف ذلك لم يكن فيها عيب آخر. الشيء المزعج الوحيد الذي كان فيها انها حين يأتي ضيوف الى البيت كانت تندفع نحوهم وتعض أرجلهم، و.. هات يا نباح! آه، الله أعلم كم كانت تنبح! كان نباحها يُسْمَعُ حتى آخر الحي. ولكنها كانت تفعل ذلك تعبيراً عن المرح. إلاّ أن الغرباء لم يكونوا يعرفون ذلك بالطبع. في إحدى المرات، قامت زوجة مدير المدرسة بزيارة جدتي، وكانت «زينة» قد انتقلت حديثاً الى بيت جدتي. وحين رَكَضَتْ نحو

زوجة المدير وعضت ركبتها، صرخت السيدة صرخة عالية أرعبت «زينة»، حتى أنها أطبقت اسنانها بقوة ولم تعد قادرةعلى فتحهما. وهكذا علقت اسنانها في ركبة زوجة المدير، وبقيت كذلك حتى يوم الجمعة. وكان على جدتي أن تقشر البطاطا وحدها. ومع ذلك استطاعت ان تنجز تلك المهمة بكفاءة عالية. لقد أخذت تقشر وتقشر بنشاط تام حتى أنه حين فرغت من العمل لم يكن قد تبقى من البطاطا شيء- قشور فقط! منذ يوم الجمعة ذاك لم تعد زوجة المدير لزيارة جدتي أبداً. لم تتقبّل الدعابة إطلاقاً.

يا لزينة المسكينة التي كانت دائما مرحة وطيبة بطبيعتها! علماً بأنها كانت أحياناً تبالغ في حساسيتها وردود فعلها، لا أنكر ذلك. فمثلاً قامت جدتي يوماً بإقحام شوكة في أذنها فقضت النهار كلّه تصيح وتولول.»

تلفتت جنان في الصالة وهي تبتسم. ثم تابعت وهي تفتل أصابعها: «نعم، هكذا كانت «زينة».»

تظاهرت السيدات بأنهن لم يسمعْنَ شيئا مما قالته جنان، وتابعن أحاديثهن. قالت إحداهن وهي السيّدة لمياء: «لو كانت خادمتي نظيفة على الأقل لربما احتفظت بها، ولكنها .. يالطيف! لاتفهم معنى النظافة.»

تدخلت جنان من جديد قائلة: «ماذا تقولين إذن عن «زينة» لو أنك شاهدتها! كانت قذرة بصورة غير معقولة. يخاف الانسان إذا نظر اليها كما كانت تقول جدّتي. تصورن أن جدتي كانت تظن أنها داكنة اللون. إي والله! ولكن الحقيقة ان لونها كان كذلك من شدّة الوسخ وقلّة الاستحمام. هل تصدّقن! في إحدى المرات أقيم سوق خيري في احد

الفنادق الفخمة، وهناك فازت «زينة» بجائزة لكثرة الوسخ تحت أظفارها. آه، فظيعة!»

تابعت السيدات المحادثة. فقالت السيدة نهاد: «تصورن! في ذلك اليوم، أرادت خادمتي الخروج، وبكل بساطة استعارت فستاني الحريري الأزرق بدون أن تستأذنني! هذا تجاوز لكل الحدود! أليس كذلك؟»

من جديد تتدخل جنان قائلة: «يا سلام! كأنك تتحدثين عن «زينة» فهي هكذا بالضبط. كأن خادمتك وزينة صُبّتا في قالب واحد. اسمعي هذا! كان لدى جدتي قميص زهري جميل تحبه كثيراً. المشكلة ان «زينة» كانت كذلك تحبّه. وفي كل صباح كانت جدّتي وزينة تدخلان في جدال عنيف حول من يرتدي القميص.

أخيراً اتفقتا على أن تتناوب عليه الاثنتان بالدور، فتلبسه كل منهما يوماً. وبهذا يكون العدل. ولكن، حتى مع الاتفاق بقيت «زينة» تثير المشاكل. أحياناً، حين يكون الدور لجدتي، كانت «زينة» تأتي راكضة وتقول: «إذا لم ألبس القميص الزهري اليوم فلن أعدّ لكم البطاطا المهروسة.» ماذا تستطيع جدتي ان تفعل؟ فالبطاطا المهروسة كانت طبقها المفضل. ولذا لم يكن أمامها غير أن تعطي «زينة» القميص. وفور أن تلبس القميص كانت تذهب الى المطبخ وتبدأ في إعداد البطاطا المهروسة، وتأخذ في تلطيخ القميص والجدران وكل ما يخطر في بالكِنّ.»

ران الصمت لبعض الوقت، ثم عادت السيدات الى الحديث، وكان الدور للسيدة ربيحة هذه المرة: «لست متأكدة مائة بالمائة، ولكنني أشك أن خادمتي صبيحة تسرق. الحقيقة انني لاحظت اختفاء بعض

الاشياء.»

ومن جديد شرعت جنان في الكلام «زينة ..... » ولكن أم رمزي ومها قاطَعَتْها قائلة بصوت حازم: «إلى غرفة الصغار فوراً أيها الأطفال!»

قالت جنان: «نعم، ولكنني كنت أريد القول فقط إن «زينة» كانت تسرق أيضاً. كانت تسرق كل ماتقع عليه يدها. كان من عادتها ان تقوم في منتصف الليل وتسرق، وإلاّ فإنها لا تستطيع النوم، كما قالت هي نفسها. في إحدى المرات سرقت «بيانو» جدتي وأخفته في درج طاولة الكتابة التي تخصّها. كانت بارعة جداً في استعمال يديها كما كانت تقول جدتي.»

أمسك رمزي ومها بيدي جنان وجذباها خارج الصالة، وبدءا يصعدان معها الدرج الداخلي.

شرعت السيدات في احتساء كأس الشاي الثالث بينما بدأت أم مها ورمزي الحديث عن خادمتها زهرة: « مع أني لا أحب أن أتذكر من خادمتي زهرة، إلا أنها كانت تكسر الاواني كثيراً.»

هنا أطل رأس أحمر من على حاجز الدرج الداخلي، وجاء صوت جنان من جديد : «بالنسبة الى «زينة»، لعلكن تتساءلن عما إذا كانت تكسر الاواني أيضاً. الحقيقة انها كانت كذلك. وقد اختارت يوماً معيناً لهذه الهواية: يوم الثلاثاء. فمنذ الخامسة صباحاً من يوم الثلاثاء كان باستطاعة الإنسان أن يسمع صوت تكسير الأواني الخزفية والزجاجية قادماً من مطبخ جدتي. كانت تبدأ بالفناجين والكؤوس والأشياء الاخرى الخفيفة، ثم تنتقل الى الأطباق العميقة، ومن ثم الى الأطباق

المسطحة، وتنتهي بأوعية الحساء. كان صوت التحطيم والتكسير يستمر بلا انقطاع طوال الصباح، وكان لذلك بهجة خاصة كما كانت جدّتي تقول. وإذا توفّر لزينة وقت فراغ في فترة العصر والمساء كانت تدخل الى قاعة الإستقبال ومعها مطرقة وتأخذ في تحطيم أطباق التحف الخزفية المعلّقة على الحيطان. كانت جدتي تشتري أواني خزفية جديدة صباح كل أربعاء.»

ما إن فرغت جنان من كل هذا الكلام، حتى اختفت في لحظة خاطفة أعلى الدرج.

ولكن صبر أم رمزي ومها كان قد نفد عن هذا الحد. فصعدت الدرج بسرعة الى غرفة الصغار، وتوجهت فوراً الى جنان التي كانت في تلك اللحظة تعلّم رمزي كيف يقف على رأسه. وقالت لها: «لا أريد ان أراك في بيتي مرة اخرى طالما انك سيئة التصرف بهذه الطريقة.»

نظرت جنان اليها بدهشة، وامتلأت عيناها بالدموع، وقالت: «هذا ماكنت أخشاه، أن أسيء التصرف. لاجدوى من المحاولة، لن أتعلّم أبداً. كان يجب ان أبقى في البحر.»

انحنت بأدب لأم رمزي ومها، وودّعت رمزي ومها، ونزلت الدرج بخطى بطيئة.

كانت السيدات في تلك اللحظة قد تهيأن للخروج. جلست جنان في الصالة قريباً من المعبر الخارجي، وأخذت تراقب السيدات وهن يتناولن معاطفهن المعلّقة ويرتدينها.

قالت جنان: «من المؤسف ان خادماتي لم يَنَلْن إعجابكُنّ. يجب ان تحصلن على واحدة مثل زينة. كانت جدتي تقول دائما إنه لا يوجد أحد

مثلها.»

هنا أكملت السيدات ارتداء معاطفهنّ، وودعن أم رمزي ومها وبدأن في الخروج. أقبلت جنان من جديد على أم رمزي ومها وهمست في أذنها: «سامحيني لأنني أسأت الأدب والتصرّف!وداعاً!»

ثم وضعت على رأسها قبعتها الكبيرة ولحقت بالسيدات. و أمام البوّابة الخارجية افترقت عنهن وَمَضْت نحو «بيت ياليت»، بينما مشت السيدات في اتجاه آخر.

ما إن ابتعدت السيدات مسافة قصيرة حتى تنبّهن الى شخص يركض وراءهنّ لاهثاً، ولم يكن ذلك غير جنان من جديد التي أخذت تتحدث بسرعة:

«ليس بإمكانكنّ أن تتخيّلن مدى حزن جدتي حين فقدت «زينة». تخيّلن! في صباح أحد أيام الثلاثاء بعد أن قامت زينة بتكسير اثني عشر فنجاناً فقط، وقبل أن تتمّ بقية المهمّة، غادرت البيت الى الابد وارتحلت في البحر. وكان على جدّتي أن تكمل تكسير الأواني بنفسها في ذلك اليوم. ولم تكن جدّتي المسكينة معتادة على هذا العمل فجرحت يدها. لم نَرَ «زينة» بعد ذلك اليوم. وكان ذلك مؤسفاً جداً. فمن أين لجدتي أن تحصل على خادمة من الدرجة الأولى مثلها! هكذا قالت جدّتي.»

رجعت جنان أدراجها، غذّت السيدات سيرهنّ ليبتعدن بسرعة. ولكن، ما إن ابتعدن مائتي متر أخرى حتى سمعن جنان تصيح بأعلى صوتها عن بعد:

«كـ مـ ا انـ هـ ا لـ م تـ كـ نّـ س يـ و مـ اً تـ حـ ت الـ أسـِ رّ ة!»

جنان تصبح بطلة انقاذ

في عصر يوم من أيام الجمعة، جلست جنان وحدها تتساءل ماذا تفعل. كان رمزي ومها قد ذهبا مع و الديهما الى حفلة شاي، ولذا لم تكن جنان تتوقع زيارةً منهما.

كان ذلك اليوم حافلاً بالمهّمات اللّطيفة. فقد نهضت جنان في وقت مبكر من الصباح، وجاءت بطبق الإفطار الى السيد نعمان وهو ما يزال في سريره. وكان إفطاره يتكون من كأس من عصير الفواكه إضافة الى قطعة كعك طازجة. وبدا خفيف الظل وهو جالس في سريره مرتدياً قميص النوم الأزرق الخفيف، وحاملاً بيده كأس العصير. ثم قامت بإطعام الحصان، ونظفته وروت له حكاية طويلة من حكايات مغامراتها في البحر. ثم ذهبت الى صالة الإستقبال ورسمت لوحة كبيرة على ورق الحائط. كانت اللوحة تصوّر سيدة سمينة ترتدي ثوباً أحمر وقبعة سوداء، وتحمل زهرة صفراء بإحدى يديها وفأراً ميتاً باليد الأخرى. وقد أعجبت جنان كثيراً بلوحتها ورأت أنها قد أنارت الغرفة وأضافت اليها جمالاً خاصّاً. ثم جلست امام خزانة الأدراج وتأملّت في بيض الطيور والأصداف التي تحتفظ بها، و تذكرت الأماكن الرائعة التي طافتها مع أبيها في أرجاء العالم، حيث جمعت هذه الأشياء الجميلة، والدكاكين التي اشترتها منها. ثم حاولت أن تعلّم السيد نعمان الرقص، ولكنه رفض التعلّم. وفكرت بضع لحظات ان تعلّم الحصان، ولكنها فضّلت ان تحشر جسمها في صندوق خشبي وترفع فوقها غطاءه. وتظاهرت بأنها سمكة سردين معلّبة، وأسفت لأن رمزي

ومها ليسا معها ليشاركاها هذه اللعبة.

بدأ الظلام يهبط الآن. ألصقت أنفها بزجاج النافذة ونظرت عبره الى الأفق البعيد حيث حمرة الغسق الخريفي. وتذكرت أنها لم تخرج على صهوة حصانها منذ يومين، فقررت أن تفعل ذلك فوراً. ورأت أن ذلك يمكن أن يكون ختام المسك ليوم جمعة لطيف.

وعليه، وضعت على رأسها قبعتها الكبيرة، وجذبت السيد نعمان الذي كان يلعب بكرات البلّور الصغيرة في ركن ما من الغرفة. ثم ثبتت السّرج على ظهر الحصان، ومن ثمّ رفعته وأنزلته من الشرفة الأمامية. وانطلق الجميع: السيد نعمان على كتف جنان، وجنان على ظهر الحصان.

كان الجو شديد البرودة والطرقات متجمّدة، فأخذت حوافر الحصان تصدر قعقعة عاليه في أثناء انطلاقه. وإذ كان السيد نعمان يجلس على كتفي جنان فقد حاول ان يمسك ببعض أغصان الشجر التي كانوا يمرون بها، ولكن جنان انطلقت بسرعة عالية، فلم تترك له مجالاً لذلك. وبدلاً من ذلك أخذت الأغصان تلطم أذنيه، وكان عليه أن يبذل جهداً كبيراً ليحافظ على قبعته المصنوعة من القش ثابتة على رأسه.

عبرت جنان بحصانها طرقات البلدة الضيقة بالسرعة نفسها ،وكان على المارة ان يلتصقوا بجدران البيوت المحاذية ليتجنبوا الحصان العابر.

في وسط البلدة ، كان ثمة ساحة كبيرة تمثل مركزا تجاريا .وكان هناك عدد من البنايات الجميلة ذات الطابق الواحد، اضافة الى دار البلدية الصغيرة المدهونة بالأصفر. ولكن، كان هناك أيضاً بناية عالية


SVA
RÖT

قبيحة المنظر تتألف من ثلاثة طوابق. كانت حديثة البناء، وكان الناس يسمونها «ناطحة السحاب » لأنها أعلى من البنايات الاخرى.

في مساء أيام الجمعة تكون البلدة الصغيرة في العادة هادئة جداً ويسيطر عليها السكون. أما في تلك اللحظة فقد شقت صيحات عالية مفاجئة هدوء المكان: « حريق! حريق! ناطحة السحاب تحترق! »

هرع الناس من كل ناحية. ووصلت سيارة الإطفاء بصفيرها الخاص. أما الأطفال الذين يعتقدون عادة أن سيارة الاطفاء شيء مثير للتسلية، فقد أخذوا يصرخون الآن خوفاً. اذ اعتقدوا ان النار ستمتد الى بيوتهم. وقامت الشرطة بحجز جموع الناس الذين أقبلوا الى الساحة، لفتح الطريق امام سيارة الاطفاء. امتدّت ألسنة اللّهب عبر نوافذ ناطحة السحاب، ولف الدخان والشّرار رجال الاطفاء الذين كانوا يعملون بكل شجاعة على إطفاء النار. بدأت النار في الطابق الاول،إلاّ أنها مالبثت ان امتدّت الى الطابقين الآخرين.

فجأة شاهد حشد الناس منظراً جعلهم يشهقون رعباً.

كانت البناية تنتهي بِعُلّيَةٍ أعلاها، وقد رأى الناس يد طفل تفتح نافذة العلّية، ثم يطل منها صبيان صغيران. صاح أكبرهما: «لا نستطيع الخروج لأن شخصا ما عمل ناراً في السلالم!»

كان الصبي الاكبر في الخامسة من عمره، أما شقيقه فكان أصغر منه بسنة. وكانت امهما قد خرجت في مهمة سريعة، وبقيا وحدهما. أخذ الكثير من الناس المحتشدين في الساحة يبكون حزناً وخوفاً على مصير الولدين. وبدا القلق على وجه رئيس فرقة الاطفاء. كانت سيارة الاطفاء تحتوي على سلّم، ولكنه كان أقصر من أن يصل الى مكان

الولدين. أما الدخول في البناية المشتعلة لانقاذ الأطفال فكان مستحيلاً. غمر اليأس جميع الناس المحتشدين حين تبيّن لهم أنه لاتوجد طريقة لانقاذ الطفلين. أما الولدان المسكينان فقد لبثا في مكانهما يبكيان. فما هي حتى تصل النار الى العلّية.

في وسط الحشد ظهرت جنان جالسة على ظهر حصانها. تمعّنت في سيارة الاطفاء باهتمام بالغ، وبدأت تفكّر في شراء واحدة مثلها. لقد أعجبتها السيارة كثيراً لأنها حمراء اللون، ولأنها سمعتها تصدر صوتاً مخيفاً وهي تعبر الطرقات. ثم أ خذت تراقب النار. ورأت في الشرر المتطاير الذي وصل قريباً منها شيئاً مسلّياً. ثم التقط بصرها لأول مرة الطفلين المحاصرين في العلّية، وأدهشها ان تلاحظ انهما كانا يبكيان بدلاً من الاستمتاع بمنظر الحريق. وأخيراً كان لابدّ أن تسأل الناس من حولها: «لماذا يبكي الولدان؟»

في بادىء الامر لم تتلق جواباً من الناس غير شهقات البكاء، ثم تحدث رجل ضخم قائلاً: «ماهذا السؤال؟ ألا تبكين أنت ايضاً لو كنت في مكانهما هناك ولم يكن بوسعك أن تنزلي؟»

قالت جنان: «أنا لا أبكي أبدا. ولكن اذا كانا يريدان النزول، لماذا لا يساعدهما أحد؟»

قال الرجل الضخم: «لأن هذا مستحيل بالطبع!»

فكرت جنان هنيهة، ثم سألت: «هل يستطيع أحدكم أن يأتيني بحبل طويل؟»

قال الرجل الضخم: «وما فائدة ذلك؟ الولدان أصغر من أن يستطيعا الهبوط بالحبل. ثمّ كيف يمكنك أن توصلي الحبل إليهم؟»

قالت جنان ببراءة وهدوء: «آه، الإنسان يتعلم بعض الاشياء في البحر. أريد حبلاً.»

على الرغم من أنه لم يكن هناك شخص واحد مقتنع بجدوى الحبل، إلاّ أن جنان حصلت أخيراً على الحبل الذي طلبته.

قريباً من البناية المشتعلة كانت ثمة شجرة عالية جداً تحاذي ذروتها نافذة العلّية، إلاّ أنها كانت تبتعد حوالي ثلاثة امتار. وكان جذع الشجرة أملس ليس عليه أغصان تمكّن الانسان من التسلق. حتى جنان لا يمكن لها تسلّق الجذع.

اشتدت النار وتعالت ألسنة اللهب. صرخ الطفلان من وراء نافذة العلّية. وبكى الناس المحتشدون.

قفزت جنان عن ظهر الحصان واتجهت نحوالشجرة. أخذت الحبل وربطت به ذنب السيد نعمان ربطاً محكماً. وقالت له: «الآن، أرنا أنه يمكن الاعتماد عليك.» وضعته على جذع الشجرة ودفعته دفعة خفيفة. وقد فهم المطلوب منه تماماً، فانطلق يتسلق جذع الشجرة. وبالطبع، فإن هذه المهمّة لا تشكل أية صعوبة بالنسبة الى قرد صغير مثله.

حبس الناس المحتشدون انفاسهم وأخذوا ر يراقبون السيد نعمان. ومالبث السيد نعمان ان وصل الى قمة الشجرة. وهناك جلس على أحد الفروع ونظر الى جنان أسفل منه. أشارت له جنان أن يهبط من جديد. ففعل ذلك فوراً نازلاً من الجهة الاخرى من الفرع الذي كان يجلس عليه، بحيث أنه حين وصل الارض صار الحبل يطوّق الفرع من جهتين، ويتدلى طرفاه الى الأرض حيث تقف جنان. قالت جنان: «أحْسَنْتَ يا سيد نعمان. أنت ذكي إلى الحدّ الذي يؤهلك لتكون استاذاً جامعياً متى شئت.» وحلت عقدة الحبل المربوطة بذنب السيد نعمان

فصار طرفا الحبل الذي يلتفّ في الاعلى على فرع الشجرة بيدها.

في الجوار كان ثمة بيت تحت الإصلاح. ركضت جنان إليه وأحضرت لوح خشب طويل. حملت اللوح باحدى يديها وعادت راكضة نحو الشجرة، وقبضت على الحبل باليد الاخرى، ثم ثَبّتَتْ رجليها على الشجرة، وأخذت تتسلق بالحبل بسرعة ومهارة. وتوقف الناس عن البكاء وقد أخذتهم الدهشة. عندما بلغت جنان ذروة الشجرة مدّت اللوح الخشبي على فرع قوي غليظ ودفعته بعناية نحو نافذة العلّية وبهذا صار اللوح بمثابة جسر مثبت بين فرع الشجرة وحافة النافذة.

تابع الحشد المراقبة بصمت تام. فقد بلغت الإثارة والترقّب أوجهما حتى لم يعد أحد قادراً على نطق كلمة. ثم بدأت جنان تمشي على لوح الخشب نحو العلّية، وفي أثناء ذلك أخذت تبتسم للطفلين ابتسامة ودّية دافئة وقالت لهما: «تبدوان حزينين بعض الشيء. هل لديكما مغص في البطن؟»

ركضت على اللوح ثم قفزت الى داخل العلّية.

قالت جنان: «المكان دافيء هنا. لن تحتاجوا الى إشعال المزيد من الحطب في المدفئة اليوم؛ هذا مؤكد! على الأكثر لن تحتاجوا الى أكثر من بضع أعواد من الحطب في المدفأة غداً.»

ثم حملت الولدين،كلا منهما بيد، ونزلت من جديد الى اللوح الممدود، وقالت للولدين: «ستحصلان الآن على بعض التسلية حقاً. فهذا شبيه بالمشي على الحبل المشدود كما في السيرك.»

حين وصلت جنان منتصف اللوح رفعت إحدى ساقيها وعلّقتها بالهواء في حركة بهلوانية كما فعلت في السيرك. سَرَتْ هَمْهَمَةُ خوف بين الحشد الذي كان يتابع المراقبة بتوتر بالغ، وحين سقطت إحدى

فردتي حذاء جنان بعد لحظة أغمي على عدد من النساء الكبيرات السن. ولكن جنان وصلت سالمة مع الولدين الى فرع الشجرة. وهتف الحشد هتافاً عالياً دوى في عتمة المساء وغطى على طقطقة النار.

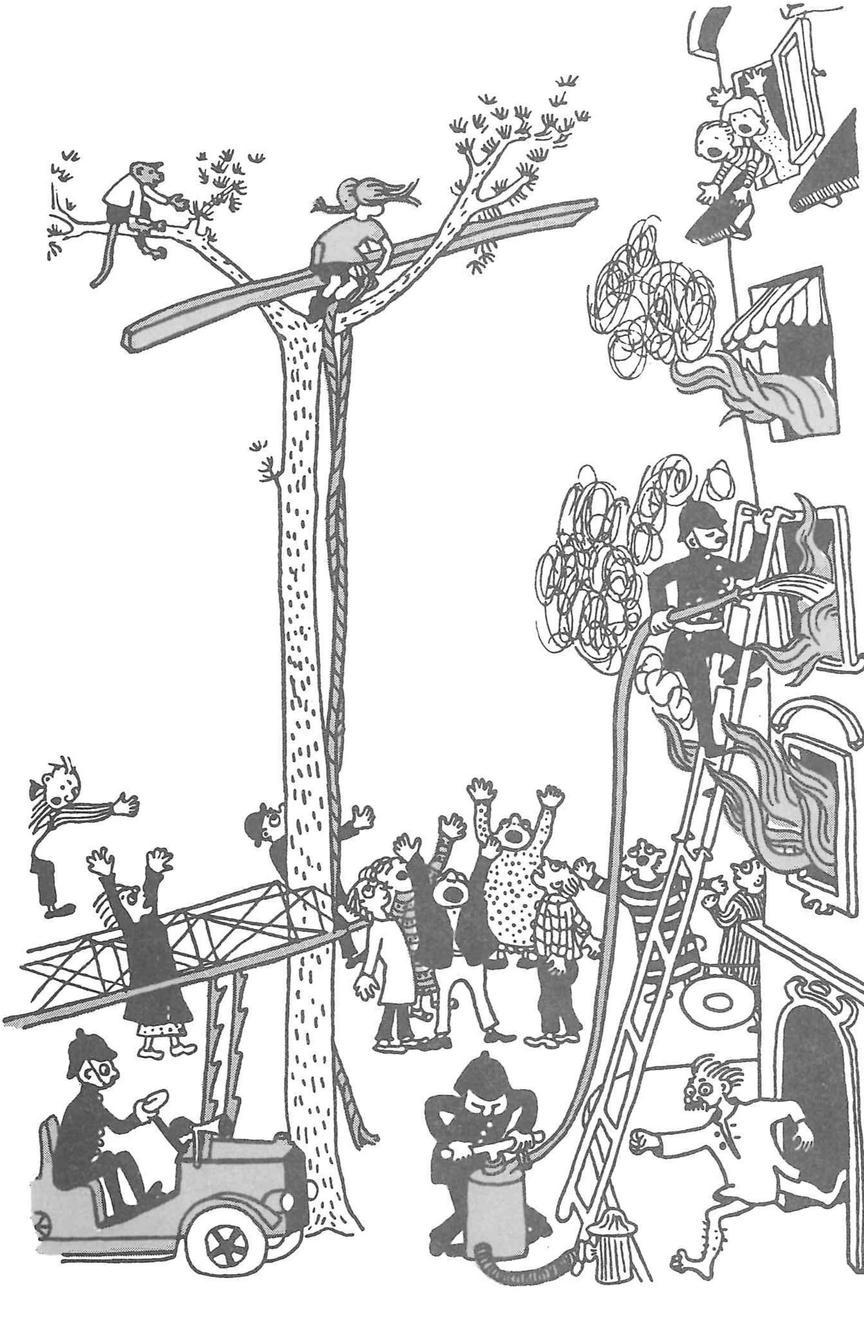
ثم سحبت جنان الحبل اليها وعَقَدَتْ احد طرفيه بإحكام بالغ حول فرع الشجرة. وربطت الطرف الآخر على أحد الطفلين. وبكل حذر وعناية وبطء أخذت تنزله بالحبل الى الارض أمام أمّه التي كانت تقف الآن في الساحة، وقد غمرتها البهجة لقرب نجاة طفليها.

ما إن وصل الطفل الاول الى الأرض حتى ركضت نحوه أمّه وأحاطته بذراعها، وأخذت تقبله والدموع تسيل من عينيها. ولكن جنان صاحت بها: « حلّي عقدة الحبل عن وسطه بسرعة؟ ما يزال هناك طفل آخر، وليس بإمكانه الطيران مؤكداً.»

ساعد آخرون في حلّ الحبل المربوط على وسط الطفل الأول، فقد كانت العقدة شديدة الاحكام، ذلك أن جنان ماهرة جداً في عَقْد الحبال. لقد تعلّمت ذلك أثناء رحلاتها البحرية.

ثم سحبت جنان الحبل الى الأعلى من جديد، وأنزلت الطفل الآخر بالطريقة نفسها.

بقيت جنان وحدها في أعلى الشجرة، قفزت الى اللوح من جديد، وتساءل الناس عما تنوي الآن فعله. أخذت جنان ترقص إلى الامام والى الخلف على اللوح الخشبي الضيق. كانت تحرك يديها وترفعهما وتخفضهما برشاقة تامة، وتغني بصوت أجش يكاد ألا يسمعه الناس المحتشدون في الساحة:



تشتعل النار
وتضيء الليل
فتصير نهار
دفء وضياء
في فصل شتاء!
والوقت مساء
ما أحلى الرقص
في وهج النار
في كل مكان
في كل زمان
تحت الاشجار
فوق الاشجار
في قلب الدار
أو سطح الدار

ومع الغناء سارعت في الرقص بايقاع عنيف نشط، فأغمض الكثيرون من الناس المحتشدين عيونهم كيلا يروا مايحدث، ذلك أنهم كانوا على يقين من أن جنان ستسقط وتؤذي نفسها. وامتدت ألسنة اللهب عبر نوافذ العلّية، وكان بوسع الناس أن يروا جنان بوضوح في وهج النار. مدّت ذراعيها كأنها تريد أن تحتضن السماء والمساء. وإذ غمرتها موجة من الشرار المتطاير صاحت: «ما أجمل ألوان المساء!»

ثم قفزت الى الحبل المتدلّي من فرع الشجرة، وصاحت: «وي ي ي ي!» وانزلقت على الحبل بسرعة البرق الى الأرض.

صـاح رئيس فـرقـة الاطفـاء: «ثلاثة هتـافـات لجنان ذات الجـورب الطويل! هيا! تحيا جنان!»

صاح الحشد: « تحيا، تحيا، تحيا!»

ولكن، كـان هناك من هتف أربع مـرات بدلاً من ثلاث. تلك كـانت جنان نفسها!

جنان تحتفل بعيد ميلادها

في أحد الأيام وجد رمزي ومها رسالة في صندوق رسائل العائلة.

كانت الرسالة موجهة اليهما، لأن اسميهما مكتوبين على وجه المغلف بإملاء ضعيف هكذا:

رامزي واماها

عندما فتحا المغلّف وجدا بطاقة كتب عليها:

«رامزي واماها مادعوان غَدَن عَصرن الى حفلت عيد ميلاد جنان. الملابيس: علا مزاجكما.»

والمقصود بالطبع «رمزي ومها مدعوان غداً عصراً الى حفلة عيد ميلاد جنان. الملابس: على مزاجكما.»

سعد رمزي ومها كثيراً بالدعوة حتى أنهما أخذا يقفزان ويرقصان. وقد فهما كل كلمة مكتوبة على البطاقة، على الرغم من الإملاء العجيب. فقد كانت جنان ترتكب أخطاء فادحة في الكتابة. صحيح انها لم تميّز بعض الحروف في اليوم الوحيد الذي ذهبت فيه الى المدرسة، إلاّ أنها كانت تكتب قليلاً مع بعض الصعوبة. فحين كانت تبحر مع والدها كان احد البحارة يجلس معها في ركن من ظهر السفينة ويحاول تعليمها الكتابة. إلاّ أنها - للأسف - كانت تفتقر الى الصّبر. فكانت تقاطع البحار فجأة وتقول: «لا، لا. هذا كلّه لايعنيني أبداً. سأتسلق الآن الى أعلى السارية لأراقب وأتحرّى نوع الطقس الذي نتوقعه غداً.»

ولذا، لا غرابة في ان الكتابة كانت بالنسبة إليها مهمة شاقّة حقاً. لقد أمضت ليلة كاملة جالسة تجاهد في كتابة الدعوة. وحين أقبل الفجر وبدأت النجوم في الاختفاء، خرجت الى بيت مها ورمزي ودسّت الرسالة في صندوق الرسائل.



فور وصول رمزي ومها عائدين من المدرسة، بدآ في ارتداء ملابسهما من أجل الحفلة. طلبت مها من أمها ان تسرّح لها شعرها، ففعلت. وربطت عليه شريطاً زهري اللون. أما رمزي فمشط شعره وبلّله بالماء ليصبح مسترسلاً تماماً. فهو لايحب تمويج الشعر وما أشبه ذلك. أحبت مها ان ترتدي افضل ثيابها ، ولكن أمها لم تجد ذلك ضرورياً لأنّ مها تَعود دائماً من عند جنان وقد اتسخت ملابسها واختفى ترتيبها. وهكذا كان على مها ان ترضى بثوب يأتي في المرتبة الثانية. أما رمزي فلم يكن يهتم باختيار ملابسه، طالما ان مظهرها معقول.

وبالطبع اشتريا هدّية لجنان. فقد استخرجا النقود من حصّالتيهما، وفي طريق عودتهما من المدرسة ركضا الى محل بيع الالعاب في الشارع الرئيسي واشتريا ... ربما كان من الافضل ترك هذا سراً في الوقت الحاضر. على أية حال لُفّتْ الهدّية بورق لامع أخضر مع كثير من الاشرطة الجميلة. وأخيراً استعد الأخوان للخروج، فحمل رمزي الهدية الملفوفة وخرجا، ولحقت بهما أمّهما التي كانت قلقة على ثيابهما

وحثتهما على المحافظة على النظافة والترتيب. وأصرّت مها على أن تحمل الهدية شوطاً في الطريق، واتفق الاثنان على ان يقدما الهدية لجنان معاً.

كانت العادة ان يدخل رمزي ومها بيت جنان من الباب الخلفي، أما اليوم فقد اتجها الى الباب الامامي. لم يكن الحصان كعادته واقفاً في الشرفة الامامية. طرق رمزي الباب بأدب جم. جاء من الداخل صوت عميق يقول:

من هذا القادم في برد الليل؟

أتراه شبح؟

الويلُ الويلْ!

أم فأرٌ مسكين عابر؟

أفْصِحْ بالقولْ!

صاحت مها: «لا،لا ياجنان! نحن رمزي ومها. افتحي الباب.»

فتحت جنان الباب.

قالت مها وقد نسيت ان تبادر جنان بالتهنئة: «لماذا كل هذا الكلام عن الاشباح يا جنان. إنني أخاف.»

ضحكت جنان بقوّة وفتحت باب المطبخ. كان المكان دافئاً ومضاءاً. وقد قررت جنان أن تقيم الحفلة في المطبخ لأنه دافيء ومريح. كان هناك غرفتان فقط في الطابق الارضي: إحداهما صالة الإستقبال التي لم يكن فيها غير قطعة أثاث واحدة، والثانية غرفة نوم جنان. ولكن المطبخ كان واسعاً. وقد عملت جنان على تزيينه وترتيبه. فقد وضعت حشايا مريحة على الأرض، ووضعت على الطاولة غطاءً جديداً خاطته وطرّزته بنفسها. صحيح أن الزهور المطرّزة عليه كانت غريبة بعض الشيء، ولكن جنان ذكرت أن هذه الانواع من الزهور تنمو في مناطق

الهند الصينية. ومن ثمّ كان كل شيء كما ينبغي له أن يكون. كانت الستائر مفتوحة، والنار تشتعل في الموقد ويتطاير منها الشرر. أما السيّد نعمان فقد جلس على صندوق خشبي وأخذ يطرق طبقين معدنيين. وفي الركن البعيد من المطبخ وقف حصان جنان. إذ كان مدعواً الى الحفلة بطبيعة الحال.

تذكّر رمزي ومها الآن أن عليهما ان يهنّئا جنان بعيد ميلادها. فانحنى رمزي بأدب، أمّا مها فثنت ركبتيها ونزلت بجسمها قليلاً في إيماءة واحترام. ثم حمل الاثنان الهدية الملفوفة ـ كما اتفقا ـ وقدماها لجنان قائلين: « عيد ميلاد سعيد يا جنان، وطال عمرك. » شكرتهما جنان، وبتلهّف شديد مزّقت ورق اللّف، فرأت صندوق موسيقى! طار عقل جنان من الفرح، واحتضنت رمزي ، واحتضنت مها، واحتضنت صندوق الموسيقى، بل انها احتضنت أيضاً الورق الذي كانت الهدية ملفوفة به. فتلت جنان يد الصندوق، فأخذ يطلق لحناً عذباً. وكلما انتهى اللحن لفّت يد الصندوق من جديد. وبقيت تفعل ذلك برهة من الوقت. ثم فطنت الى شيء ما، وقالت لمها ورمزي:

«آه، ياإلهي، نسيت أن أقدم لكما هداياكما بالمناسبة.»

قال رمزي: «ولكن عيد ميلادنا ليس اليوم.»

نظرت جنان اليهما بدهشة وقالت: « صحيح. ولكنه عيد ميلادي، أليس كذلك؟ ولذا يمكنني أن أعطيكم هدايا بمناسبة عيد الميلاد كذلك. أم إنه مكتوب في أحد كتبكم المدرسيّة ان هذا لايجوز؟ هل لهذا أية علاقة بجداول «*الرّضب*» (تعني الضرب)؟ هل تمنع جداول «*الرّضب*» هذه تقديم الهدايا؟»

قال رمزي: «بالطبع، ليس هناك ما يمنع. ولكنه غير مألوف. على كل حال أنا أحب أن أحصل على هدية.»

ركضت جنان الى صالة الاستقبال، وأحضرت من خزانة الادراج هديتين ملفوفتين. فضّ رمزي الورق عن هديته فوجد نايا عاجيّاً. أمّا مها فكانت هديتها دبوس زينة من النوع الذي تزين به الملابس. وكان على شكل فراشة رصّعت أجنحتها بالاحجار الكريمة الزرقاء والحمراء والخضراء.

بعدئذ جلس الجميع أمام الطاولة التي وُضع عليها مختلف انواع الكعك والحلوى. كانت أشكال الكعك غريبة حقاً، ولكن جنان أعلنت ان هذه هي انواع الكعك التي يصنعها الناس في الصين.

كذلك تضمّنت المائدة شراب الشوكولاته الساخنة والقشدة المخفوقة.

أخذ رمزي بيد جنان وتوّجها الى المائدة، أما مها فحاولت ان تتأبط يد السيد نعمان كأنهما صاحبان. ولكنه لم يكن راغباً بمنح يده لأحد، فاضطرت مها الى رفعه ووضعه على كرسي أمام المائدة، ولكن السيد نعمان كان يفضل الجلوس على الطاولة.

كما أنه لم يكن راغباً في احتساء الشوكولاته الساخنة مع القشدة المخفوقة. ولكن، حين صبّت جنان في فنجانه ماءً أخذه بكلتي يديه وأخذ يشرب.

طفق رمزي ومها وجنان يأكلون بشهيّة وبلا توقف. وقالت مها انه اذا كان هذا هو الكعك الذي يأكله الناس في الصين فانها تنوي أن تنتقل للعيش هناك حين تكبر.

حين أفرغ السيد نعمان فنجانه وضعه مقلوباً على رأسه. وحين رأت جنان ذلك فعلت الشيء نفسه. ولكنها لم تكن قد فرغت تماماً من احتساء ما فيه من الشوكولاته، ولذا فقد سالت بقاياه على جبينها ومن ثمّ على أنفها، فلحست السائل بلسانها ولعقته قائلة: «الحكمة تقول: لاتبدد شيئا لكي لاتحتاج الى شيء!»

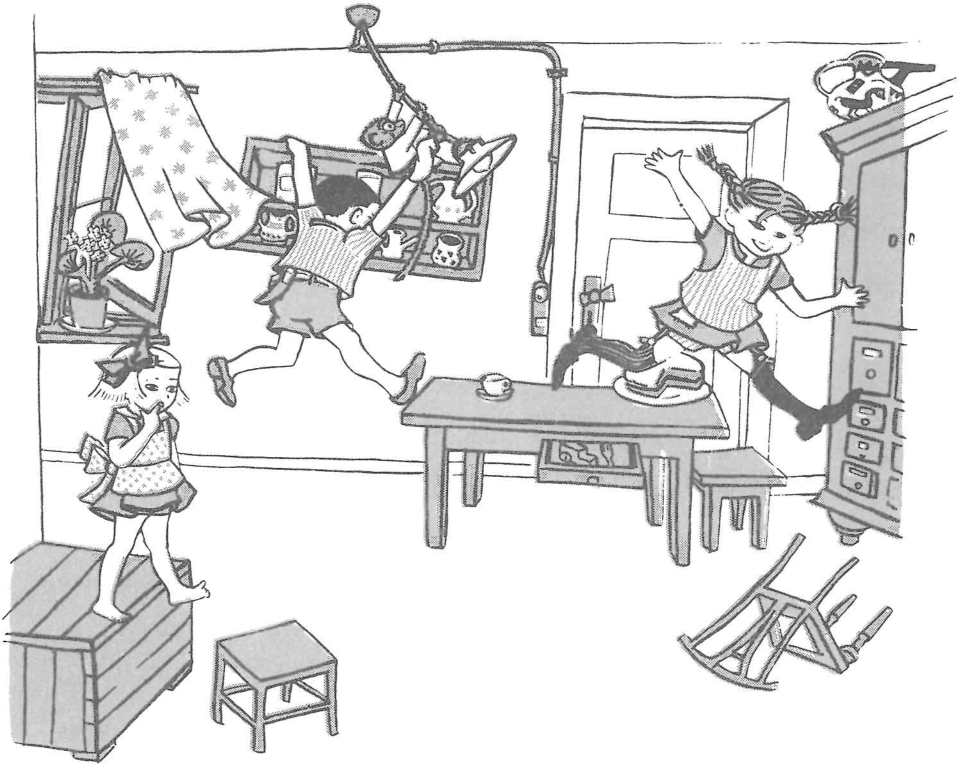
لعق رمزي ومها فنجانيهما حتى صارا نظيفين، ومن ثم وضع كل منهما الفنجان على رأسه بالطريقة نفسها.

حين اكتفى الجميع من الطعام، وتناول الحصان نصيبه كذلك، أخذت جنان غطاء الطاولة من اطرافه الاربعة ورفعته مرة واحدة بما عليه فانقلبت الاشياء بعضها على بعض وصار ذلك كلّه كالصرّة أو الكيس. ثم حشرت جنان الصرّة الحاصلة في الصندوق الخشبي، وقالت:

«أحب دائماً ان أرتب فور الانتهاء من الاكل.»

ثم جاء دور اللّعب. واقترحت جنان أن يلعبوا لعبة تسمّى «لا تلمس الارض». كانت لعبة بسيطة. فالمطلوب هو ان يتنقل الشخص في أنحاء المطبخ دون ان يخطو مرة واحدة على الارض. وفي مثل لمح البصر قفزت جنان عبر انحاء المطبخ كله فوق قطع الاثاث والادوات التي فيه دون أن تلامس الارض. وبدا الأمر سهلاً حتى بالنسة الى رمزي ومها. يبدأ الواحد من مغسلة المطبخ، وإذا كان باستطاعته ان يمدّ ساقه الى مسافة كافية فانه يستطيع ان ينتقل الى سقف المدفئة، ومن هناك الى الصندوق الخشبي، ومن الصندوق الخشبي الى الرف، ومن هناك الى الطاولة، ثم يتنقل فوق كرسيين الى خزانة الاواني في الزاوية. ثم تبقى مسافة من بضع أمتار بين خزانة الاواني الى المغسلة. ولكن الحصان يقف هناك في الوسط لحسن الحظ، وبذلك يستطيع الشخص ان يتسلّق طرف مؤخرته، ثم يزحف نحو طرف رأسه، ومن هناك يهبط الى المغسلة من جديد.

بعد أن مارسوا هذه اللعبة مدّة من الوقت، ولم يعد ثوب مها في المرتبة الثانية من ملابسها، وإنما صار في المرتبة الخامسة، وصار رمزي بسواد مكنسة المدخنة، قرروا ان يفكروا بشيء آخر.



قالت جنان: «مارأيكما ان نذهب الى العلّية ونزور الاشباح؟»

شهقت مها خوفاً وسألت: «هَـ هَـ هل هناك أشباح حقاً في العلّية؟»

أجابت جنان: «هل هناك أشباح؟ ملايين! العلّية تعجّ بكل أنواع الأشباح والأرواح. إنك تتعثرين بهم أينما مشيت هناك. هل نصعد؟ »

نظرت مها إليها نظرة معاتبة وقالت: « آه، ياجنان! »

قال رمزي بشجاعة: «أمي تقول انه لايوجد مثل هذه الاشياء، لا أشباح ولا عفاريت ولاشيء من هذا القبيل.»

قالت جنان: «نعم، يمكنها ان تقول ذلك. إذ إنه لاتوجد أشباح في

أي مكان آخر. كل أشباح العالم تعيش عندي في العلّية. ولا جدوى من محاولة إخراجها من هنا. ولكنها ليست خطيرة. انها لاتفعل شيئاً غير انها تقرص ذراع الانسان فتترك عليه كدمات سوداء وزرقاء. وتعوي وتولول وتلف رؤوسها في دائرة كاملة.»

قالت مها وقد سيطر عليها الخوف: « هل.. هل.. هل تفعل هذا .. حقاً؟»

قالت جنان: «مؤكداً. هذا ماتفعله. هيا، فلنذهب ونكلمها هناك في العلّية.»

لم يحبّ رمزي أن يظهر خوفه، كم أنه كان راغباً على نحو ما ان يرى الأشباح. فهذا يوفر له مادة يحدث بها زملاءه في المدرسة! وفضلاً عن ذلك، طمأن نفسه أن الأشباح لن تجرؤعلى ايقاع الأذى بجنان. ولذلك قرر الذهاب. اما مها فلم يكن عندها اية رغبة في الذهاب تحت كل الظروف، ولكن ما لبث أن خطر على بالها أنها إذا بقيت وحدها في المطبخ فلربّما تسلّل اليها أحد الأشباح الصغيرة من العلّية عبر الدرج. وقد حسمت هذه الخاطرة الأمر. فَأنْ تكون مع رمزي وجنان بين آلاف الأشباح خير لها من أن تكون وحدها في المطبخ مع شبح صغير.

تقدّمت جنان أولاً، ففتحت الباب الى سلّم العلّية. كان المكان حالك الظلمة هناك. تشبّث رمزي بجنان بقوة، وتشبّثت مها برمزي بقوة أكثر. وهكذا صعد الجميع. أخذت درجات السلم الخشبي تصدر صريراً تحت أقدامهم مع كل خطوة.

بدأ رمزي يتشكك في صحة قراره. ألم يكن من الافضل البقاء في المطبخ؟ أما مها فلم يكن عندها شك في الامر، فهي لم ترغب في المجيء هنا لحظة واحدة. أخيراً وصلوا الى قمّة السلّم ودخلوا العلّية. كان الظلام هنا ايضاً حالك السواد، باستثناء خيط من شعاع القمر يسقط على أرضيّة المكان. وكانت تصدر تنهّدات وأصوات غريبة كلما

هبت الريح ونفذت من شقوق الجدران الخشبية.

صاحت جنان: «مرحباً أيتها الاشباح!»

ولكن، إن كان ثمة شبح هناك حقا، فإنه لم يجب.

قالت جنان: «آه، نعم. كان يجب أن أقدّر هذا. لقد ذهبوا جميعاً الى اجتماع المجلس التنفيذي لجمعية الاشباح والعفاريت الموقّرين.»

هنا أطلقت مها نَفَساً مسموعاً تعبيراً عن الارتياح، وتمنت أن يطول الاجتماع وقتاً طويلاً جداً. ولكن، في هذه اللّحظة تناهى صوت مرعب من إحدى زوايا العلّية: «هوووو-ووو-وووو!» وفي اللّحظة التالية رأى رمزي شيئاً ما يندفع نحوه في العتمة. وأحسّ به يمسّ جبينه، ثم رأى شيئا يختفي عبر النافذة الصغيرة المفتوحة.

صرخ رمزي صرخة فزع شديدة: « شبح! شبح!» وشاركته مها الصراخ.

قالت جنان: « سيتأخر ذلك المسكين عن بدء الاجتماع، هذا ان كان ذلك الشيء شبحاً حقاً وليس بوماً.» توقفت هنينة ثم قالت: «إن شئتم الحق ليس هناك أي أشباح. وإذا أصرّ أحد على القول بأن هناك أشباحاً، فسوف أقرص له أنفه.»

قالت مها: «ولكنك أنت قلت سابقاً ان هناك أشباحاً.»

قالت جنان: «حقّاً! أنا قلت ذلك؟ طيب! مادام الامر كذلك فسأقرص أنفي مؤكداً.»

وبالفعل، قرصت أنفها بشدّة.

بعدئذ هدأت خواطر رمزي ومها قليلاً . بل إنهما وجدا الآن في نفسيهماً الشجاعة الكافية للتقدّم نحو النافذة والإطلال منها على الحديقة. كان ثمة غيوم كثيفة تبحر عبر السماء وتحجب القمرأحيانا. وكانت الريح تصفر عبر الاشجار.

استدار رمزي ومها، ولكن.. آه! يا للرعب! شاهدا طيفاً أبيض يتقدّم

نحوهما.

صرخ رمزي بصوت فَزِعٍ مدوٍّ: «شبح!»

أمّا مها فقد انعقد لسانها تماماً من شدة الرعب، فلم تَقْوَ على إطلاق صرختها. وأخذ الشبح يتقدم منهما رويداً رويداً. واحتضن رمزي ومها كل منهما الآخر وهما يرتعشان، وأغمض كل منهما عينيه كيلا يرى شيئاً.

حينئذ سمعا الشبح يقول: «انظرا ما وجدت! وجدت ثوب النوم الخاص بأبي في صندوق قديم هنا. إذا قصّرْتُهُ من الأسفل فسيكون بإمكاني أن ألبسه.»

اقتربت جنان منهما وهي ترتدي ثوب النوم وتجرجره حول قدميها وخلفها.

قالت مها: «ماهذا يا جنان! كدت أموت من الخوف.»

قالت جنان: «ولكن ثياب النوم ليست خطيرة. انها لاتعضّ أحداً إلاّ دفاعاً عن النفس.»

قررت جنان ان تتفحّص محتويات الصندوق الذي وجدت فيه ثوب النوم، فرفعته وحملته الى قرب النافذة، لكي يتسنى لها مشاهدة مافيه تحت اشعة القمر التي كانت تسقط عبر النافذة. وجدت في الصندوق عدداً كبيراً من الثياب القديمة القتها على أرض العلّية، ثم وجدت منظاراً ، وبعض الكتب، وسيفاً، وكيساً مليئاً بقطع الذهب.

جمعت جنان كل ما وجدته في ثوب النوم، وعاد الثلاثة من جديد الى المطبخ.

هزت جنان السيف القديم وقالت: «هذا السيف سيخيف الاشباح. سأعلمهم ان يفكروا جيداً قبل ان ينطلقوا لإخافة الأطفال الصغار الأبرياء مرة اخرى. لانه حتى وإن لم يكن هناك أشباح حقاً، فإنه لا

يجوز لهم الخروج لإخافة الناس.»

ثم تابعت قائلة: «نستطيع الآن ان نشكل عصابة قراصنة. فمعنا سيف ومنظار، وعندنا حبال. » ثم قرّبت المنظار من عينيها وتابعت قائلة: «بهذا المنظار أستطيع ان أرى البراغيث في امريكا الجنوبية. وهو نافع تماماً إذا كنا سنلعب لعبة القراصنة.»

ولكن، في هذه اللحظة سُمع طرق على الباب. كان ذلك والد رمزي ومها، وقد جاء ليعود بولديه الى البيت. إذ إنهما تجاوزا موعد نومهما بوقت طويل. أسرع رمزي ومها ليشكرا جنان ويودعاها، وليأخذا الهديتين اللتين أهدتهما إياهما جنان: الناي ودبوس الزينة!

لحقت جنان ضيفيها الى الشرفة الأمامية خارج باب البيت، وراقبتهما يبتعدان مع والدهما عبر الحديقة. استدارا ولوّحا لها. وقع عليها الضوء القادم من داخل البيت. كانت تقف هناك بجديلتيها المنتصبتين اليابستين، مرتديةً ثوب النوم الذي كان لأبيها وقد تراكمت طياته حول قدميها لطوله. كانت تحمل المنظار بيد، والسيف باليد الاخرى. لوحت لصديقيها بالسيف.

حين وصل رمزي ومها ووالدهما الى البوابة سمعوها تنادي. توقفوا لينصتوا. صفرت الريح عبر الأشجار فكاد صفيرها يخفي صوت جنان. صاحت قائلة: «سوف أصير قرصانة حين أكبر. ماذا عنكم؟ »



جنان ذات الجورب الطويل

جنان ذات الجورب الطويل، هي أقوى وأمرح طفلة في العالم. عمرها تسع سنوات فقط. جنان طفلة من عالم الخيال، جاءت يوماً وهبطت داخل حدود عالمنا الطبيعي. واستقرت في بقعة هادئة ساكنة. فتغير بوجودها كل شيء. وأصبحت لأطفال تلك البقعة، ولملايين آخرين من الأطفال في أنحاء العالم، رمزاً للمغامرة! وكذلك رمزاً للدفء والحنان. ففي داخل مظهرها العجيب، يكمن تفهم عميق صادق لواقع الصغار، وينبض قلب بنبضات العطف والحنان.



استريد ليندجرين كاتبة سويدية ولدت عام ١٩٠٧م في بيئة ريفية في جنوب السويد. كتبت عدداً كبيراً من كتب الاطفال ترجمت الى أكثر من ٦٠ لغة.

قصة جنان ذات الجورب الطويل كانت السبب في شهرة الكاتبة عالمياً. حيث أصبحت شخصية جنان، الفتاة الشجاعة الطيبة ذات الشعر الأحـ[illegible] الشخصيات في عالم كتب [illegible]

دار المنى